الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة سعيدة – الدكتور مولاي الطاهر
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة والأدب العربي

# جهود الدكتور عبد العزيز حمودة في تأصيل الخطاب النّقديّ العربِيّ

## "المرايا المقعّرة أنموذجا"

مذكِّرة تخرُّج مكمّلة لمتطلّبات نيل شهادة ماستر
تخصص: نقد عربي قديم

**إعداد الطالبة:**
**بوعزدية كلثوم**

**إشراف:**
**أ.د. عبد القادر رابحي**

**أعضاء لجنة المناقشة**

| | |
|---|---|
| أ.د. محمد عباس | رئيسا |
| أ.د. عبد القادر رابحي | مشرفا ومقررا |
| د. بن سعيد كريم | ممتحنا |

**السنة الجامعية:**

**1444-1445ه/2023-2024م**

بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وعرفان


الحمد لله أوّلا وأخيرا، الذي منّ علينا من فضله وبركاته وتوفيقه، إتمام هذا العمل، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والرسل محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التّسليم.

وإن كان من الفضل شكر لذويه، فإننا نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور المشرف: رابحي عبد القادر، على قبوله الإشراف على هذه المذكرة، وعلى كلّ ما قدّمه لنا من توجيهات ومعلومات قيّمة ساهمت في إثراء موضوع دراستنا في جوانبها المختلفة.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرين كلهم، شكرا.

بوعزدية كلثوم

# إهداء

إلى روح أبي الطاهرة،

مَثلي الأعلى في هذه الحياة، ومن كنت أتمنّى لو كان بجانبي فترة إعدادي لهذا البحث.

إلى العزيزة الغالية، أمي حفظها الرّحمن، ورزقها الصّحة والعافية.

إلى إخوتي وإلى صديقاتي الغاليات: عيدية، هدى، أمينة، خديجة.

إلى كل من مدّ لي يد العون والمساعدة

أهدي هذا البحث.

بوعزدية كلثوم

# مقدمة

عرفت السّاحة النَّقديّة على مر العصور والحقب الزمنيَّة العديد من التحولات والتغيرات الإيجابية والسلبية، ومع ظهورِ وتشكُّل الخطاب النقدي ازدادت هذه التغيرات، وذلك بسبب الاهتمام الكبير الذي حظي به النقد، كان على رأْس هذه التَّغيرات الأَزمات التي عانى منها الخطاب النقدي لفترة طويلةٍ، وبالأخصِّ الخطاب النقدي العربيُّ، حيث شهد هذا الأخير أزماتٍ على مستوى التَّأسيسِ والمنهج والمصطلح، جعلت من المثقَّف العربي يعيش حالةَ فوضى ولا يستطيع تحديدَ انتمائِه، ويشعر وكأنه في متاهة لا نهاية لها.

وقد أَثارت هذه الأَزمات انتباه كبار روَّاد السّاحة النَّقديّة العربية، ممَّا جعَلَهم يبذلون جهودا جبارة بغية التَّخلُّص من هذه الأزمات، ولكن يبقى صاحب المشروع الأبرز هو الدكتور عبد العزيز حمّودة، والذي حاول بدوره أن يقدِّم مشروعا ضخما عبارة عن ثلاثة كتب بالغةِ الأهمية (المرايا المحدَّبة، المرايا المقعَّرة، الخروج من التّيه)، وذلك لأجل إيجاد حلٍّ لهذه الأزمات وإيجاد بديل لِما أفرزه فكر الحداثة الغربيَّة.

وبناءً على ما سبق ارتأينا أن يكون عنوان بحثنا متمحوِراً حول تأصيل الخطاب النقدي العربي، والموسوم بـ"**جهود الدكتور عبد العزيز حمودة في تأصيل الخطاب النَّقديّ العربِيّ (المرايا المقعَّرة) أنموذجا**"، وذلك لعدَّة أسباب ودوافع قادتني إلى الخوض في غمار هذا البحث أهمُّها:

1- الفضول المعرفي ورغبتنا في الاطِّلاع والإلمام بالموضوع باعتباره من المواضيع التي لقيت اهتماما كبيرا من قبل النقاد والمهتمين بالنّقد.

2- إعجابنا بما قدَّمه الدكتور عبد العزيز حمودة في مشروعه النقدي، ورغبتنا في تسليط الضوء على هذا النَّاقد الحصيف.

وعليه فقد تمحور بحثنا حول إشكاليَّة رئيسة تمثلت في:

– فيمَ تمثَّلت جهود الدكتور عبد العزيز حمودة في تأصيل الخطاب النقدي العربي؟ وهل استطاع هذا الأخير إيجاد بديلٍ لما أفرزه فكر الحداثة الغربيَّة؟

لمعالجة هذه الإشكالية اقتضى البحث تقسيم الخطة إلى فصْلين؛ خصَّصنا الفصل الأول لدراسة الكاتب (نشأته، حياته...)، والمنجز النقدي والإبداعي الخاص به، إضافةً إلى تصوره للخطاب النقدي العربي، وعنوانه: "**الدكتور عبد العزيز حمّودة وتصوُّره للخطاب النقدي العربي**"، أما الفصل الثَّاني فقد جعلناه لتحديد جهود الدكتور عبد العزيز حمودة لتأصيل الخطاب النقدي العربيّ، وذلك من خلال عرضنا لكتابه الموسوم بـ"المرايا المقعرة: نحو نظريَّة نقديَّة عربيَّة"، وقد عنونَّاه بـ" التوجُّه النقدي للدكتور عبد العزيز حمودة من خلال كتاب المرايا المقعَّرة"، وكآخر نقطةٍ في البحث، ختمناه بخاتمة متمثلة في مجموعةٍ من النَّتائج التي تلخِّص هذه الدراسة.

أمَّا فيما يخص المنهج المتبع، فقد اعتمدنا على المنهج الوصفيّ التّحليلي، وذلك لأجل شرح الآراء النَّقديّة التي قدمها الدكتور عبد العزيز حمودة، ولأجل كذلك بناء موضوعنا ومعالجة عناصره.

وقد اعترضت البحث العديد من الصعوبات والعراقيل خلال فترة إعداده أهمُّها:

1– تعدُّد الآراء النَّقديّة وتداخلها حول كتب الدكتور عبد العزيز حمودة.

2– قلَّة المراجع التي تتحدث عن الدكتور عبد العزيز حمودة وصعوبة الوصول إليها، وذلك نظرا لأنها غير موجودة على شبكة الانترنت، خصوصا التي تضم سيرته الذاتية.

كما اعتمدنا على مجموعةٍ من المصادر والمراجع الأساسية أهمُّها:

1– ثلاثية الدكتور عبد العزيز حمودة (المرايا المحدّبة، المرايا المقعَّرة، الخروج من التيه).

2– كتاب علم الجمال والنَّقد الحديث للدكتور عبد العزيز حمودة.

وفي نهاية هذه المقدّمة نتقدم بالشّكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور "رابحي عبد القادر"، على مجهوداته في قراءة هذا البحث، وفي توجيهنت إلى الطريق الصحيح، كما نوجه شكرنا للجنة المناقشة على تخصيصِ جزء من وقتها الثمين للاطلاع على بحثنا.

ونسأل الله أن يجعلَ في هذه الدِّراسة ما ينفع العربيَّة وأهلها.

**بوعزدية كلثوم**

**2024-04-27**

# الفصل الأوَّل

## الدكتور عبد العزيز حمّودة

## وتصوُّره للخطاب النقدي العربيّ

## 1/ الدكتور عبد العزيز حمّودة في سطور:

### 1- نشأته وحياتُه:

الدكتور عبد العزيز حمُّودة ناقد مصري حصيف وواحد من كبار المفكرين والمسرحيّين في الوطن العربيّ، وهو ينظمُّ إلى كتيبة انتشر إنتاجُها خلال نصف القرن الماضي من أمثال: د/ سمير سرحان، د/ ماهر شفيق فريد، د/ فخري قسطندي ...إلخ.

وُلِد الدكتور عبد العزيز حمودة في الثاني من شهر رمضان 1356هـ الموافق لسنة 1937م، بقرية دلبشان، والتي هي إحدى قرى مركز كفر الزّيّات التابع لمحافظة الغربية بجمهورية مصر العربية، تلقَّى تعليمَه قبل الجامعي بمركز كفر الزيات، حيث درس المرحلة الابتدائية في مدرسة صلاح الدين (1366هـ/1947م)-(1376هـ/1951م)، أمَّا المرحلة الإعدادية فقد أكمل دراستها في مدرسة الشوربجي حتى سنة1375هـ/1957م، ثم التحق بعدها بكليَّة الآداب جامعة القاهرة قسم اللغة الانجليزية، حيث درس فيها مدَّة ثلاث سنوات، وتخرج منها سنة 1379هـ/1960م، ثم عيِّن معيدا في القسم نفسِه، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنَّما يدلُّ على أنَّه كان من الطَّلبة المتفوِّقين في دفعته، مما جعله يعمل كأستاذ مساعد في الجامعة نفسها بعد تخرُّجه.

أوفد إلى الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، وبالتَّحديد إلى نيويورك، وهناك "حصَل على الماجستير والدكتوراه في الأدب الانجليزي من جامعة كورنيل الأمريكيَّة عامي 1965م، و1968م"[1] على التَّوالي، حيث حصل على درجة الماجستير برسالة عنوانها "بلد الغيلان": دراسة لتسي وليمز، ثم على الدكتوراه من نفس الجامعة برسالة عنوانها "مسرح الصحف الحية: دراسة في الخيوط والشكل".[2]

ولم تكن هذه الفترة التي قضاها الدكتور عبد العزيز حمودة في الولايات المتحدة الأمريكية من أجل إكمال دراسته ونيل الشهادات فقط، بل كانت كذلك بمثابة تشكُّل لرؤيته ولمعرفته بالمجتمع الأمريكي

[1] – حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدَّبة: من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، الكويت، أبريل، 1998م، ص 355.

[2] – حمودة، عبد العزيز، علم الجمال والنقد الحديث، الهيئة المصرية العامَّة لكتاب، القاهرة، 1999م، ص 9.

على كافة المستويات: سياسيّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً وثقافيّاً، ويظهر ذلك جليا في كتاباته، ولعلَّ ما يوضِّح ذلك كتابه الموسوم بـ: "الحلم الأمريكي" الذي عالج فيه فكرة الاعتدال في التَّعبير عن العالم الخارجيّ دون الانبهار بالحلم الأمريكي.

بعد إكماله لدراسته في الخارج عاد إلى الوطن وبالتحديد إلى جامعة القاهرة، بغية تدريس النقد والدراما والمسرح، حيث "عيِّن بعد عودتِه مدرسا بقسم اللغة الانجليزيَّة بكليته الأم وترقَّى في سلك التدريس حتى درجة أستاذ".[1]

تقلَّد عدة مناصب ذات شأنٍ، نذكر منها:

1/ "عميد الدراسات العليا بجامعة الإمارات"[2]، مع قيامه بالتَّدريس في العراق (1390هـ-1971م)/(1392هـ-1972م)، ثم بالسعودية (1392هـ-1972م) /(1395هـ-1975م).

2/ وكيلا ثمَّ عميدا لكلية الآداب بجامعة القاهرة من سنة 1985م إلى غاية سنة 1989م.

3/ مستشاراً ثقافيا لمصر بالولايات المتحدة الأمريكية (واشنطن) (1410هـ-1990م)/(1412هـ-1992م).

4/ رئيس قسم اللغة الانجليزية بجامعة القاهرة لمدة سنة واحدة 1992م/1993م.

5/ نائب رئيس جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا من سنة 1997م إلى غاية سنة 2003م، ثم تولَّى رئاسة جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا حتى سنة 2006م، وهي السّنة التي توفِّي فيها.

والملاحَظُ ممَّا سبق ذكرُه أنَّ التدرُّج الأكاديمي للدكتور عبد العزيز حمودة إن دلَّ على شيءٍ فإنَّما يدلُّ على تطوُّرٍ مستمرٍ ونضجٍ متزايد وهذا ما يؤكِّده الدكتور ماهر شفيق فريد في تقديمه لكتاب "علم الجمال والنقد الحديث" قائلا: "إنَّه لم يولد مكتملاً كما خرجت منيرفا من رأس زيوس في الأسطورة

[1] – حمودة، عبد العزيز، علم الجمال والنقد الحديث، ص 09.

[2] – حمودة، عبد العزيز، الخروج من التيه، دراسة في سلطة النص، عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر 2003م، ص 371.

الإغريقية، ولم يكن كالتلفزيون المصريّ الذي يقال لنا إنَّه وُلِد عملاقا، ثمَّة فرق بين كتاباته في 1962م، مثلاً وكتاباته في 1999م، وهو الفرق الذي تُحدِثه زيادة الخبرة بالأفكار والمشاعر والكتب والحياة".[1]

**2- الجوائز:**

حصل الدكتور عبد العزيز حمودة خلال رحلة العطاء الأدبي والمسرحي المليئة بالكنوز المعرفيَّة على العديد من الجوائز نذكر منها:

- جائزة شاعر مكة في النقد: حصل عليها سنة 1421هـ/2000م، من مؤسسة يماني الثقافية الخيريَّة عن كتابه الموسوم بـ: المرايا المحدَّبة: من البنيوية إلى التفكيك.

- جائزة الدولة التقديرية سنة 1424هـ/2003م: وهي جائزة مصريَّة تمنَح سنويّاً للممتازين في الإنتاج الفكري في مجالات الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيَّة.

- جائزة محمد حسن الفقي السعودية مناصفة مع الدكتور حسن بن فهد، سنة1427هـ/2006م.

**3- وفاته:**

استمرَّ الدكتور عبد العزيز حمودة في رحلة العطاء الإبداعي النقدي والمسرحيّ إل أن وافتْه المنيَّة في الثالث من شهر شعبان 1427هـ الموافق لـ27 أغسطس (أوت) 2006م، عن عمر يناهز 69 سنة تاركاً وراءه أثراً طيّباً، وفي هذا الصَّدد يقول الدكتور ماهر شفيق فريد: "كان حمودة منذ مطلع شبابه مدرِّساً مطبوعاً، فإلى جانب غزارة علمِه وتفتُّحه على الثقافة العلميَّة وآفاق الفلسفة إلى جانب تخصُّصه في الأدب، كان يملك القدرة على التوصيل والتَّواصل، لقد جلست منه مجلس التِّلميذ على ضآلة الفرق في العمر بيننا... كانت فصولُه الدِّراسيَّة قطعة متوهِّجة من النَّشاط الأكاديمي؛ فهو -بحيويته العصبيَّة القلقة التي تذكِّرُني بحيويَّة محمد عبد الحليم عبد الله- لا يدع الطَّالب يستسلم للكسل لحظةً واحدةً...

[1] - حمودة، عبد العزيز، علم الجمال والنقد الحديث، ص 17.

وإنَّما يتحرَّك في أرجاء المدرّج يسأل هذا ويستمع إلى ذلك، ويصحح ويعلّق ويضيف"[1]، إضافة إلى أثره الطَّيّب، ترك لنا الدكتور عبد العزيز حمودة إرثا من العلم وزخماً من الأفكار مؤكّدا بذلك فكرة أنَّ العقل العربيّ كان ولا يزال يساهم بقوَّة في بناء المعرفة، وأنَّ النقد مهما زعم له أصحابه من موضوعيَّة ما هو إلَّا تجسيدٌ لصورة النَّاقد وعقلِه ووجدانه.

[1] – حمودة، عبد العزيز، علم الجمال والنقد الحديث، ص 08.

## 2/المنجز النَّقدي والإبداعي للدكتور عبد العزيز حمودة:

ترك الدّكتور عبد العزيز حمُّودة إرثاً ضخما تجلَّى في العديد من المؤلَّفات والدِّراسات باللغة العربية والإنجليزية في مجالاتٍ مختلفةٍ كالنقد والأدب والمسرح والفلسفة... إلخ.

### 1- أعمال باللغة الإنجليزية:

ألَّف الدكتور عبد العزيز حمودة أعمالاً باللغة الإنجليزية، كونَه كان ينتمي إلى قسم اللغة الإنجليزية، ودرس في جامعة كورنيل الأمريكية، التي تُصنَّف في قائمة أهم الجامعات الخاصَّة في أمريكا، مما جعله يتقن اللغة الإنجليزية، ويقدِّم أعمالاً ودراساتٍ بهذه اللغة، وفي هذا الصدد نذكر قول الدكتور ماهر شفيق فريد الذي حاول في تقديمه لكتاب الدكتور عبد العزيز حمُّودة الموسوم بـ: علم الجمال والنقد الحديث أن يجمع هذه المؤلَّفات قائلا: "لعبد العزيز حمودة أعمالا علمية باللغة الإنجليزية يعرفها زملاؤُه وتلاميذه، ولا أطيل القول فيها هنا إن له كتبا عن "مشكلة أولبي: دراسة في الخيوط والتقنية"، وله بحث عنوانه "الوهم والحقيقة: من يخاف من فرجينيا وولف وأليس الصغيرة"".[1]

ما يمكن فهمه من هذا القول أن: الدكتور عبد العزيز حمودة كان مهتمّاً بالكتابة باللغة الإنجليزية، حيث أنَّه قدَّم بهذه اللغة دراساتٍ لأعمال عالميَّة.

إضافة إلى الأعمال والدراسات الأدبيَّة التي كتبها الدكتور عبد العزيز حمُّودة باللغة الإنجليزيَّة نجد أنَّه كذلك قد قدَّم دراساتٍ لمسرحيَّات باللغة الإنجليزيَّة، ولتأكيد هذا الكلام نذكر قول الدكتور ماهر شفيق فريد: "كتب مقدِّمات لمسرحيَّات "عربة اسمها الرَّغبة" لتنسي وليامز، و"موت قومسونجي"... وحرَّر كتابا عن المسرح الأمريكيّ".[2]

[1] – حمودة، عبد العزيز، علم الجمال والنقد الحديث، ص 10.

[2] – المصدر نفسه، ص 10.

ممَّا سلف ذكره نجد أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة قد قدَّم للمسرح دراساتٍ مهمَّة كاهتمامه بأعمال شكسبير المسرحية وكذلك مسرحيات تنسي وليامز، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنَّما يدلُّ على أن الدكتور عبد العزيز حمُّودة كانت له رؤية خاصَة، أو بمعنى آخر كان واسع الأفق.

## 2- أعمال باللغة العربية:

كما كان للدكتور عبد العزيز حمودة أعمال باللغة الإنجليزية، كان له كذلك أعمال باللغة العربية، وهو مكثر في مجال الكتابة بها، وهذه الأعمال متمثِّلة في:

### أ- الأعمال النَّقديَّة:

أصدر من الكتب النقدية كتاب "علم الجمال والنقد الحديث" سنة 1963م، وهو عبارة عن مقالات كتبها الدكتور عبد العزيز حمودة عن علم الجمال والنقد الأدبي وفلسفة الفن، وقد حوت هذه المقالات آراء بعض الفلاسفة ودراسات عن كتب مهمة، حيث "ظهر كتاب علم الجمال والنقد الحديث لأوَّل مرة في سلسلة "مكتبة النقد الأدبي" التي كانت تصدر تحت إشراف الدكتور رشاد رشدي، وتقديمه في الستينيات عن مكتبة الأنجلو مصرية".[1]

ألَّف بعد ذلك كتاب "الحلم الأمريكي: دراسة نقدية" سنة 1993م، وهو كذلك عبارة عن مجموعة مقالات تحدَّث فيها عن المجتمع الأمريكي قبل وبعد أحداث 11 سبتمبر، وكيف استطاع هذا الأخير تحسين صورته، وقد وصف بعض الدَّارسين كتاب الحلم الأمريكي بأنه نوع جديد من أدب الرَّحلات، وفي سنة 1998م أحدث الدكتور عبد العزيز حمودة زلزالا ثقافيا في الساحة النَّقديَّة من خلال مشروعه النقدي الضَّخم، والذي يضمُّ ثلاثة كتبٍ مهمَّة، بداية مع كتاب "المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك"، وهو بمثابة "رفض ما أفرزته الحداثة الغربيَّة من مناهج" .[2]

[1] – حمودة، عبد العزيز، علم الجمال والنقد الحديث، ص 12.

[2] – الحمود، علي بن محمد، النّقد الأدبيّ الإسلامي: الواقع والمأمول، دار الفكر المعاصر، بيروت، أبريل 2016، ص 54.

لقد أثار هذا الكتاب ضجَّة بعد إصدارِه حيث اعتبره البعض تحريض اتجاه المناهج الغربيَّة، واعتبره آخرون بأنه يحمل في طيَّاته أفكاراً سلبية، وفي هذا الصَّدد يقول الدكتور ماهر شفيق فريد: "وهو كتاب ممتاز في حد ذاته، ولكنَّه كان ذا نتائج يؤسَف لها، إذ أدَّى إلى معركة لا ضرورة لها مع جابر عصفور على صفحات "أخبار الأدب" معركة لم يكن فيها غالب ولا مغلوب، وإنَّما خرج الطَّرفان مثخنين بالجراح".[1]

ولا يفوتنا أن ننوِّه انه بالرغم من كل الملاحظات التي أخذت على الكتاب والانتقادات التي وجِّهت له، إلا أنَّه لاقى اهتماما وتقديرا كبيرين من قطاع لا بأس به من المثقفين والباحثين.

استكمل الدكتور عبد العزيز حمودة ما بدأه في كتاب المرايا المحدَّبة، بكتاب آخر وسَمَه بعنوان "المرايا المقعَّرة: نحو نظريَّة نقديَّة عربيَّة" سنة 2001م، وهو الكتاب الثاني في الثلاثيّة النقديّة، فبعد نفي الدكتور عبد العزيز حمودة الحداثة الغربية كان لا بدَّ له من البحث عن بديل، وهذا ما فعله في كتابه المرايا المقعرة، وفي ذلك يقول: "منذ ظهور "المرايا المحدَّبة" حاصرتني أسئلة، وماذا بعد المرايا المحدبة؟ ماذا بعد أن رفضت المشروعات والاستراتيجيات التي أفرزها فكر الحداثة الغربية وما بعدها؟ وهل لديك بديل تقدِّمه؟ إذ لا يكفي أن ترفض النَّقل، أو الأخذ، أو الاستعارة من الثقافة الغربية وعنها ثم تقف متفرِّجا".[2]

في ظل هذه الأسئلة التي حاصرت الدكتور عبد العزيز حمودة بعد صدور كتابه "المرايا المحدّبة" كان لا بدَّ من البحث عن بديل عربيّ، وهذا ما حاول تجسيده في كتاب "المرايا المقعَّرة"، وكآخر جزء في هذه الثلاثية وهذا المشروع النقدي، أصدر الدكتور عبد العزيز حمودة سنة 2003م، كتاب "الخروج من التيه: دراسة في سلطة النص"، فبعد أن حذر الدكتور عبد العزيز حمودة من مدى خطورة النقل عن الحداثة الغربيَّة لأنَّها تؤدِّي إلى التبعيَّة الثقافية، وجد أنَّ الأمر قد ازداد سوءاً، وأنَّ الثقافة الغربية قد تحوَّلت إلى

[1] – حمودة، عبد العزيز، علم الجمال والنقد الحديث، ص 10.

[2] – حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس، 2001م، ص 08.

ثقافة مهيمنة ومتسلِّطة ترفض حق الاختلاف، وتحاول السيطرة على الثقافات القومية، وقد دعا الدكتور عبد العزيز حمودة في هذا الكتاب إلى ضرورة العودة إلى سلطة النص، وذلك بقوله: "إنَّ سلطَة النّص كما تحدِّدها الدراسة تقوم على قدرة النَّص الأدبي على تحقيق معنى ما، يتمتَّع بقدر من الإلزام ويقبل التثبيت، ولو بصورة مؤقَّتة، في مواجهة فوضى القراءات التفسيرية للنص الأدبيّ التي انتهت عند أتباع نظريَّة التَّلقِّي والتفكيك إلى إلغاء سلطة النص، بل إلى التشكيك في وجوده أصلا، وسلطة النص هي محور محاولتنا الجديدة لتحديد معالِم نظريَّة نقديَّة عربيَّة بديلة".[1]

ومعنى هذا أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة رأى بأنَّه لا بد من قيام نظريَّة نقدية عربيَّة بديلة تعتمد على سلطة النصّ الأدبي، أي أنَّ البداية الصحيحة تكون انطلاقا من النص.

إنَّ العطاء النقدي للدكتور عبد العزيز حمودة لم يقف عند هذا الحد، بل تعدَّاه إلى كتابة "مراجعات لكتاب ستانلي هايمن "الرؤيا المجنحة"، وكتاب ف.أ.ماثيسن "ما حققه ت.س.إليوت" يونيو 1963، وهو ما زال من أقيَم الكتب المكتوبة عن إليوت جنبا إلى جنب مع كتابات ف.ر.ليفيز وكليانت بروكس في تلك الفترة ذاتها أو ما يقاربها".[2]

والملاحظ مما سبق، أنَّ الدكتور عبد العزيز حمّودة قد أثرى النقد الأدبي بمؤلَّفات ودراسات جدّ مهمة، كما أنَّه سلَّط الضوء على الكثير من القضايا النَّقديَّة التي ناقش فيها واقع الحداثة العربية وانبهارها بالحداثة الغربية.

**ب. الأعمال الإبداعية:**

لم يكن الدكتور عبد العزيز حمودة مجرد ناقدٍ فحسب، بل كان كذلك مبدعاً مسرحيّاً بامتياز، حيث أنَّه تخصص في المسرح وحصل على الماجستير والدكتوراه من جامعه كورنيل الأمريكية في الأدب المسرحي، له في المسرح المصري مجموعة من المسرحيات وهي كالآتي:

[1] – حمودة، عبد العزيز، الخروج من التيه: دراسة في سلطة النص، ص 10، 11.

[2] –حمودة، عبد العزيز، علم الجمال والنقد الحديث، ص 16.

1- الناس في طيبة: صدرت هذه المسرحية سنه 1979م، وتمَّ عرضها على مسرح "الطليعة" سنة1981م، بقيادة المخرج السيد طليب، تناول الدكتور عبد العزيز حمودة في هذه المسرحيَّة الأسطورة المصرية القديمة إيزيس وأوزوريس ولكن بطريقة جديدة، حيث تطرق فيها إلى طيبة الناس، ولا يقصد بالطيبة ها هنا طيبه القلب ورقته؛ وإنَّما يقصد بها السذاجَة التي تجعل من الناس لا يدافعون عن حقوقهم.

2- ليلة الكولونيل الأخيرة: كان تاريخ صدورها سنة 1981م، وتم عرضها بعد ذلك على خشبه مسرح "الهواة" سنه 1984م موضوعها الأساس هو الضمير المتخاذل.

3- الرهائن: أُلِّفت سنة 1982م، وقام المخرج فهمي الخولي بعرضها في نفس السنة بإنتاج فرقة المسرح الحديث، وتتطرَّق هذه المسرحيَّة إلى موضوع مهم أَلا وهو نقد الأنظمة العربيَّة وبيان حق الشعوب في الحريَّة والعدل.

4- الظاهر بيبرس: صدرت هذه المسرحية سنة 1983م تدور أحداثها في زمن الظاهر بيبرس، وتتحدث في طيّاتها عن الحاكم المستبدّ، وهذا ما يظهر جليّاً في مقدمة كتاب "الأعمال الكاملة" للدكتور عبد العزيز حمودة الذي ضم كلا من مسرحيَّة الظاهر بيبرس، ومسرحية المقاول، حيث يقول الدكتور عبد العزيز حمودة في هذا الكتاب" "ما نهايةُ السّلطان الذي يخون أمانةَ من استخلفهُ ويتخلى عن أحلام شعبه ويتنكر لرسالة من عاهدُوه على الحرية والعدل"[1]، هذه الأسئلة التي عرضها في بدايه المقدمة كلّها أجاب عنها من خلال عرض محتوى المسرحية.

5- المقاول: وفي سنه 1985م صدرت له مسرحية أخرى بعنوان "المقاول" التي تتحدث في طيّاتها عن التقصير وتحمُّل مسؤوليته، وفي هذا الصّدد يقول الدكتور عبد العزيز حمودة: "ماذا يحدث عندما يختار الإنسان أن ينحاز لنفسه ضد المجموع؟ وما هي المسؤولية الأَوْلى بالرعاية: مسؤوليَّة الإنسان

[1] -حمودة، عبد العزيز، الأعمال الكاملة، مسرحيات الظاهر بيبرس، المقاول،ج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989م، ص 05.

تجاه ذاته أم مسؤوليته تجاه الآخرين؟ وهل يكفي أن يهرب الإنسان إلى قوقعة المال والسّلطان أو حتى الذات ليهرب نهائيا من نتائج اختياراته؟"[1]

والملاحظ من هذا كلِّه أنَّ مسرح الدكتور عبد العزيز حمودة قد تميز بالتَّنوع في المواضيع المعروضةِ، إضافة إلى أنَّه عالج قضايا اجتماعية وسياسيّة في غاية الأهمية، كالضمير المتخاذل في مسرحيّة "ليلة الكولونيل الأخيرة"، والحاكم المستبد في مسرحية "الظاهر بيبرس"، والتقصير في حق الغير من خلال مسرحيَّة "المقاول".

لم يقتصر الإبداع المسرحيّ عند الدكتور عبد العزيز حمودة على تأليفِ مسرحيَّات وعرضِها على خشبة المسرح فقط، بل تعداه إلى تأليف كتب في هذا المجال، بدايةً مع كتاب "المسرح السياسي" الذي ألَّفه سنة 1971م، وقد اهتم الدكتور عبد العزيز حمودة بالمسرح السّياسي كونه يهدف إلى توعيَة الناس لأنَّه يعتمد إلى حدٍّ كبير على الحقائق، مرورا بكتاب مسرح "رشاد رشدي: دراسة تحليلية عن النور والظلام"، 1972م، ثم كتاب "المسرح الأمريكي" سنة 1978م، وصولا لكتاب "البناء الدرامي" الذي ألفه سنة 1998م، والذي حاول فيه وضع العناصر الأساسية للبناء الدرامي في المسرح، وفي هذا الصَّدد يقول: "حاولت في هذه الدراسةِ أن أناقش الجوانب الرئيسيَّة في البناء الدّرامي... فقد راعيتُ في هذه الدراسة التركيز على عدَّة جوانب أهمها أنَّني حاولت في البداية التوصل إلى عناصر البناء الدرامي الأساسيَّة".[2]

ومعنى هذا أنَّ الدكتور العزيز حمودة قد أولى اهتماما كبيراً بالمسرح للدَّرجة التي جعلته يؤلف كتباً فيه، إضافةً إلى مسرحياته التي قدمها، وهذا كله لأجل القضاء على أزمة النصوص الدراميَّة وترسيخ تقاليد الفنّ الدرامي المسرحي.

[1] –حمودة، عبد العزيز، الأعمال الكاملة: مسرحيات الظاهر بيبرس، المقاول، ص 05.

[2] –حمودة، عبد العزيز، البناء الدرامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م، ص05.

إضافة إلى هذه المؤلَّفات اللَّافتة سواء في النقد أو في المسرح نجد للدكتور عبد العزيز حمودة كذلك مجموعة من المقالات عن المسرح العربي والمصري، والتي يذكرها الدكتور ماهر شفيق فريد قائلا: "لعبد العزيز حمودة مقالات كثيرة عن المسرح العربي والمصري، منها: المسرح العربي والبحث عن الهوية (مجلة المسرح، سبتمبر 1989م)، محمد سلماوي وعالم المنطق المعكس (مجلة إبداع، يوليو 1985م)، المعادلة الصعبة (عن مسرحيتي محمد سلماوي: فوت علينا بكره، واللي بعده)... ومن مقالاته الأخرى: العشب الأخضر: عن أستاذه –أستاذي رشاد رشدي– في كتاب: "رشاد رشدي بأقلام مختلفة" (الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987م)، ودراسة لديوان إسماعيل عقاب "من وحي عينيها"، ومقالة عن كتاب "صدام الحضارات" لصمويل هنتجتون بمجلة الهلال".[1]

ويدلُّ هذا الكلام في طيَّاته على أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة كان مطَّلعا على أعمال غيره من الدَّارسين والكتاب المسرحيِّين، ولَم يكتف بالاطِّلاع فقط، بل كان يقدم رأيَه ويقوم بدراسة وتحليل هذه الأَعمال وكتابةِ مقالات عنها.

أمّا الجانب الآخر من كتابة المقالات، فلا يفوتنا أن نذكر المقالات التي كتبها عن المسرح الأمريكي الحديث، باعتباره مجال تخصّص الدكتور عبد العزيز حمودة وحبه العميق، كما يصفه الدكتور ماهر شفيق فريد، وفي هذا الصدد يقول كذلك: "إنَّه يكتب على صفحات "المجلة" عن مسرحيه تنسي ويليامز "في الصيف الماضي" (ديسمبر 1962م)، وعن كتاب آلان دوانر "المسرحية الأمريكية الحديثة" وعلى صفحات مجلة "المسرح" يكتب عن جيمز بولد وين (اغسطس 1964م)، وعن آرثر ميلر... وعن إدوارد أولبي (سبتمبر 1965) وعن يوجين أونيل (أبريل 1964م)، وذلك على ضوء مشاهدته عروض أعمالهم على خشبة المسرح الأمريكي".[2]

[1] –حمودة، عبد العزيز، علم الجمال والنقد الحديث، ص 11.

[2] –المصدر نفسه، ص 15، 16.

كما أنَّه وضع بصمته كذلك في مجال الترجمة، وفي هذا الصدد يقول الدكتور ماهر شفيق فريد: "ترجم إلى اللغة العربيَّة (ولو أنه عموما مُقِلّ في مجال الترجمة) مسرحيَّة أولبي "أليس الصَّغيرة"، وقد ظهرت مع دراسة نقديَّة في مجلد عنوانه "مسرح العبث" (1970م)، كما ترجم مسرحيَّة لجاك جينيه ضاع منه مخطوطها".[1]

ولا يمكننا أَن ننسى مجال الفلسفةِ لأنَّ الدكتور عبد العزيز حمُّودة كان مهتمّا بالفلسفة، حيث "خَّص حمودة على صفحات "المجلَّة" (يناير 1963م) كتاب كروشي "علم الجمال" تلخيصا وافياً، وفي إِطار اهتمامه بالفلسفة عموما وفلسفه الجمال بخاصة، كتب عروضا لكتاب ويلبر مارشال ايربان "ما وراء الواقعية والمثالية" (المجلة، فبراير 1964م)، و"علم الجمال والنقد" لهارولد أوزبورن (المجلة، أبريل 1963م).[2]

وبهذا يكون الدكتور عبد العزيز حمودة قد أثرى الأدب والمسرح بمؤلفاتٍ ودراساتٍ وإِبداعاتٍ قيّمةٍ تدل على تطوُّره الفكري والنقدي وثقافته الواسعة.

[1] – حمودة، عبد العزيز، علم الجمال والنقد الحديث، ص 11.

[2] – المصدر نفسه، ص 14.

### 3/الخطاب النقدي العربي كما تصوره عبد العزيز حمودة:

صاحب تطور العمل الأدبيّ، تطوُّر النّقد كذلك، فهما يسيران في اتجاه واحد، وتطوّر النقد أدّى بطبيعة الحال إلى حدوث تراكم للمعارف؛ هذا التراكم شكل ما يسمى بالخطاب النقدي، و"مصطلح "الخطاب" اسم مشتق من مادة (خ، ط، ب) وقع اعتماده من طرف الفكر النقدي العربي الحديث ليحمل دلالة المصطلح النقدي الغربي discours"[1].

هذا القول يحمل في طياته دلالة مهمة متمثلة في أنَّ مصطلح "الخِطاب" ارتبط ارتباطا وثيقا بالنَّقد، خصوصا في العصر الحديث، وهو من المصطلحات البارزةِ التي تدلُّ على تطوُّر النّقد وتقدُّمه.

إنَّ المتصفِّح للموسوعات التي تختص بالتّحدث عن الفكر النَّقدي ينشأُ لديه إحساسٌ بأنَّ العقل العربيَّ لم تكن له أيُّ إضافةٍ في هذا المجال، وكأنَّ النقد انتقل من اليونان والرومان في القديم، إلى الأوروبيّين في العصر الحديث، وهذا ما يؤكِّده العديد من النقاد العرب ممَّن تشبعوا بالثقافة الغربيَّة، حيث نجد أسماء وازنة في النقد العربي تؤيد فكرةَ أنَّ النَّقد غربيُّ المنشأ، كالناقد أحمد أحمد بدوي الذي يقول في مقدمة كتابه الموسوم بـ"أسس النقد الأدبي عند العرب": "أغلب الظَّنّ أنَّ العربَ لم يعرفوا هذا المصطلح الذي يجري على ألسنتنا اليومَ، وهو عبارة (النقد الأدبيّ)، وأرجِّح أنَّ لغتنا العربيَّة لم تعرفه إلا في العصر الحديث فحسب، إذ لم أعثر عليه فيما قرأتُه من كتب الأَدب ولا قواميس اللغةِ".[2]

الملاحظُ من هذا القولِ أنَّ النّاقد أحمد بدوي يرجّح بأن العرب لم يعرفوا النَّقد إلَّا في العصر الحديث، وكل ما هو قديمٌ في النَّقد فهو من صنع الغرب، ولكنَّنا نجدُ الدّكتور "عبد الرحيم الكردي" ينفي ما قاله "أحمد بدوي"، قائلا: "فات العالم الجليل -يقصد أحمد بدوي- أنَّ عدم معرفةِ العرب القدماء بالمصطلح لا يعني أنَّهم لم يعرفوا المفهوم".[3]

[1] – شرشار، عبد القادر، تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، دار القدس العربي، وهران، 2009م، ص 15.

[2] – بدوي، أحمد، أسس النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة، القاهرة، 1996م، ص 1 (المقدمة).

[3] – الكردي، عبد الرحيم، الفكر النقدي عند العرب، مكتبة الآداب، القاهرة، 2015م، ص 03.

ممَّا سبق ذكره يظهر لنا أنَّ النقاد العرب قد انقسموا إلى فريقيْن؛ فريقٌ يرى بأنَّه لابُدَّ من الاعتماد على النَّقد الغربي باعتباره أكثر تطوُّراً، وفريق آخر يرى بأنَّه لابدَّ من تأسيس نظريَّة نقديّة عربيَّة خالصة، وهذا التَّضارب في الآراء أدَّى إلى تأليف العديد من الكتب والمؤلفات النَّقديَّة، ولا يمكننا بأيّ حال من الأحوال إنكار الجهود التي قدَّمها النّقّاد العرب لأجل تأسيس نظريَّة نقديَّة عربيَّة، ولأجل التَّنظير للنَّقد، ولكن تبقى جهود الدكتور "عبد العزيز حمودة" لتأصيل الخطاب النَّقدي العربيّ بمثابة المشروع الأبرز، وذلك لأنَّ هذا الأخير كانت له رؤية نقديَّة خاصة به تدل على انتمائه لتراثه وحضارته العربيَّة.

بدأت رؤية الدكتور "عبد العزيز حمودة" في التَّشكُّل حينما بدأ بالاطِّلاع والاهتمام بأعمال النّقاد العربِ الحداثيّين، أو بصيغةٍ أدقّ النّقاد البنيويّين أمثال جابر عصفور، هدى وصفي، حكمت الخطيب، كمال أبو ديب... إلخ، ويظهر هذا جليّا من خلال قوله: "وقفتُ طويلا منذ السنوات الأولى، منذ الثمانينات على وجه التَّحديد أمام كتابات البنيويّين العرب، أو الحداثيّين العرب بإحساس ظلَّ حتى وقت قريب مزيجاً من الانبهار والشّعور بالعجز".[1]

معنى هذا أن بعد اطِّلاع الدكتور "عبد العزيز حمودة" على أعمال البنيويّين العرب انتابه شعور مزدوَج، وهو عبارة عن مزيج من الانبِهار والعجْز، وكما ذكر الدكتور عبد العزيز حمودة في كتابه "المرايا المحدَّبة" فإن شعوره بالانبهار ناتج عن انبهاره بهؤلاء النُّقّاد العرب الذين استطاعوا في فتره انتصار وانهزام الإنسان العربيّ وضعفِه أن ينقذوا شرف النقد العربيّ، خالط هذا الانبهارَ شعورٌ بالعجز، وهو عجز عن التعامل مع الدِّراسات البنيويَّة، وعن فهم وظيفة النقد ذاته، أو بصيغة أخرى عجز عن تحديد انتماءاتنا بالدرجةِ الأُولى.

عكف الدكتور "عبد العزيز حمودة" على معاودة النَّظر في النقد التنظيري الغربيّ، حيث قدَّم مشروعا ضخماً عبارة عن ثلاثة كتبٍ نقديَّة قيِّمة بدايةً مع الكتاب الأول الموسوم بـ"المرايا المحدَّبة: من البنيويَّة إلى التفكيك"، سنه 1998م، حيث أحدث هذا الأخِير ضجَّةً في السَّاحة النَّقديَّةِ، لأنَّه كان

[1] – حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، ص 11.

بمثابة رفض لِما أَفرزَته الحداثةُ الغربيَّة من مناهج نقديَّة، ويظهر هذا بشكلٍ واضح من خلال قول الدكتور "عبد العزيز حمودة": "نحن فعلاً بحاجةٍ إلى حداثة حقيقيَّة تهزُّ الجمود وتدمّر التّخلُّف، وتحقِّق الاستنارة، لكنَّها يجب أن تكون حداثتنا نحن، وليست نسخة شائهة من الحداثة الغربيَّة".[1]

الملاحظُ من هذا القول أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة كان يطمح للتّأصيل للخطاب النقدي، وللحداثة العربيَّة، بعيدا عن كل ما هو غربي، لأنَّ علاقة النقد بالحداثة علاقة متينة، وفي هذا الصدد يقول: "هي اللفظة التي أصبحت لازمة المثقف في العربي في السنوات الأخيرة، والتي أصبح عدم ترديدها في جميع المحافل والمناسبات الأدبية سمة من سمات الجهل والتخلّف الثّقافي، فالإنسان في هذه الأيَّام واحد فقط من اثنين بالنسبة للحداثيين العرب، إمَّا حداثي أو رجعيّ جاهل".[2]

ونظرا لهذا الانتشار الواسع الذي حضي به مصطلح الحداثة، أصبح لا بدَّ للنّاقد خاصة وللإنسان عامة"، أن يكون على دراية بهذا المصطلح لكي يواكب عصره، ولكن اختلاف الواقع الغربيّ عن الواقِع العربيّ جعل الحداثة الغربيَّة تختلف كل الاختلاف عن الحداثة العربيّة، ويؤكد هذا بقوله: "إنَّ اختلاف الواقع العربيّ وهو واقع تحدده أبعاد تاريخيَّة واجتماعيَّة واقتصاديَّة محدَّدة، عن الواقع الغربي الذي أفرز الحداثةَ، يجعل نقل الحداثة الغربية بقيَمِها المعرفيَّة الجديدة، والمصطلح النقدي الذي تولَّد عنها إلى واقعنا العربيّ ضرباً من العبث في الدرجة الأولى".[3]

معنى هذا أنَّ الواقع الغربيّ يختلف عن الواقع العربِيّ، والهوَّة بين الواقعين واسعة، وبالتالي لا يمكننا أخذ مفردات خاصَّة بالحداثة الغربيّة، وندخلها في ثقافتنا، لأنّنا بذلك سنحدث فوضى دلاليَّة، وفي هذا يقول الدكتور "عبد العزيز حمودة": "إنَّنا حينما نستخدم مفردات الحداثة الغربيّة ذات الدلالات التي

[1] – حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدبة، ص 09.

[2] – المصدر نفسه، ص16.

[3] – المصدر نفسه، ص 32، 33.

ترتبط بها داخل الواقع الثقافي والحضاري الخاصّ بها، نحدث فوضى دلاليّة داخل واقعنا الثقافي والحضاري، وإذا كنا ننشد الأصالة فقد كان من الأحرى بنا أن ننحت مصطلحنا الخاصّ بنا".[1]

ممَّا سلف ذكره نجد أنَّ الدكتور "عبد العزيز حمودة" في كتابه "المرايا المحدبة" لم يرفض الحداثة الغربية، بل رفض تجلِّياتها على النقد العربي وانعكاسها عليه، لأنَّ خلفيَّتَها مبنيَّة على ثقافةٍ مختلفة عن الثقافة العربية، لذلك من الضرورة أن ينطلق النقد العربي من رؤية فلسفية وخلفيَّة تنتمي لتراثه وحضارته العربية، لذا فالحداثة الغربيَّة لا تصلح لأن نستعيرها وننقلها إلى الثقافة العربية، لأنَّ هذا الفعل إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على التَّبعِيَّة الثّقافية للغرب، وهذا ما يؤكده الدكتور "عبد العزيز حمودة" في قوله: "إنَّ النقل عن الحداثة الغربية يفتح الطريق أمام التّبعِيّة الثَّقافِيّة ثم يكرّسُها، ثم إنَّنا نرتكب إثماً لا يُغتفَر حينما ننقل المصطلح النقدي الغربيّ، وهو مصطلح فلسفي بالدرجة الأولى، بكل عوالقه المعرفية إلى ثقافةٍ مختلفة هي الثقافة العربية دون إدراك للاختلاف".[2]

وبهذا القول يوضح لنا الدكتور "عبد العزيز حمودة" نقطةً مهمَّة متمثِّلة في أن الاقتباس والاستعارة والنقلَ عن الغرب يؤدي إلى نشوء ما يسَمَّى بالتبعيّة الثّقافِيّة.

إنَّ جهود الدكتور "عبد العزيز حمودة" لم تقف عند هذا الحد، بل واصل هذا الأخير مشروعَه النّقدي، حيث ألّف المؤلَّف الثّاني في الثلاثية وهو بعنوان: "المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية" سنة 2001م، فبعد أن رفض المناهج النقدية الغربية في كتابه السابق، كان لابُدَّ له من إيجاد بديل لهذه المناهج، وهذا ما طالبه به النَّاس بعد الضَّجة التي أحدَثَها كتاب "المرايا المحدَّبة"، حيث حاصرته أسئلة مفادُها: "ماذا بعد أن رفضت المشروعات والاستراتيجيات التي أفرَزَها فكرُ الحداثة الغربيّة؟، هل لديك بديل تقدمه؟".[3]

[1] – حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدبة، ص 29.

[2] – حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 09.

[3] – المصدر نفسه، ص 08.

هذه التساؤلات جعلت الدكتور "عبد العزيز حمودة" يؤلِّف كتابه الثاني الموسوم بـ: "المرايا المقعرة"، وذلك من أجل البحث عن بديلٍ، لأنَّه من غير المنطقي أن يرفض المناهج التي أفرزتها الحداثة الغربيّة، ثمّ يقف متفرِّجا، ولكن الدكتور "عبد العزيز حمودة" لم يقف متفرِّجا، بل بدأ بالبحث عن البديل لهذه المناهج الغربية، وكان لابُدَّ أن يكون هذا البديل عربيّا يدلُّ على انتمائِه، ممَّا فرض على الدكتور "عبد العزيز حمودة" البحث في التراث البلاغيِّ العربيِّ، مع أنّ هذا الموضوع قتِل بحثا وسبقه إليه جيلٌ من كبار النقاد من أمثال: جابر عصفور، عزّ الدين إسماعيل، شكري عياد...إلخ، حيث قدّموا دراسات متميزة للتُّراث، إلَّا أنَّ الدكتور "عبد العزيز حمّودة" كان يشعر طوال الوقت أنَّ الإجابة موجودةٌ في التّراث البلاغي العربيِّ وأنّ البديل هناك، كما أنَّ عودته لهذا التراث في عصره الذهبي لم تكن بدافعِ الحنين إلى الماضي، أو بهدف التَّفاخر الأجوف بإنجازات وهميَّةٍ للعقل العربيّ، بل عاد إلى ذلك التّراث مُحمَّلا بسؤال محدَّدٍ: "هل قدَّمت البلاغة في عصرها الذَّهبي نظريَّة لغويَّة او نظريَّة أدبية؟".[1]

كان هدف الدكتور عبد العزيز حمودة من هذا التساؤل هو تحديد بداية خيط أو أي شيء يوحي بِوجُود نظريَّة أو لبِنَاتٍ أولى لتشكُّل نظريَّة أدبيَّة، لكن بعد عودته للتراث العربي تفاجأ بأنَّ هناك ما هو أوضح وأقوى من أن يكون مجرّد إشاراتٍ بوجود نظرية لغوية أو أدبية.

وبهذا يكون الدكتور "عبد العزيز حمودة" قد أثبت بأنَّه فعلا هناك بديل لهذه المناهج الغربيّة، وأنَّ العقل العربيّ قد قدَّم بالفعل ما يكفي لتسمِيته نظريّة لغويّة أو أدبيَّة.

في سنه 2003م أصدر "عبد العزيز حمودة" آخر كتاب في مشروعه النّقدي موسوم بـ"الخروج من التيه: دراسة في سلطة النص"، وهو بمثابة تكملة لما بدأه في كتابَيْه السَّابقيْن "المرايا المحدّبة "و"المرايا المقعَّرة"، فبعد أن رفض المناهج النقدية الغربية في كتابه الأوَّل، ثم حاول البحث عن بديل لها في كتابه الثاني، جاء كتابه الثّالث ليكمل الثلاثية، وفي هذا الصدد يقول الدكتور "عبد العزيز حمودة": "وتأتي

[1] – حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 10.

الدِّراسة الجديدة الحالية بعد أن انكشف المستور، ولم يعد الأمر مجرّد إشارات ومؤشرات، بل أصبح أمر ثقافة مهَيْمِنَة تضيق بالاختلاف فتحاول إلغاءَه" .[1]

في هذا الصدد يوضح الدكتور "عبد العزيز حمودة" الهدف من تأليفه لكتاب "الخروج من التّيه"، حيث أنّ الدّافع الذي جعله يؤلفه متمثِّل في أنَّه لاحظ بأنّ الأمر لم يعد مجرّد اقتباس وتبعيَّة للغرب، بل أصبح أكثر من ذلك، أصبح أمر ثقافةٍ مهيمنة، حيث تحوّلت الثقافة الغربية من ثقافه عادية إلى ثقافة مهيمنة.

بعد أن كان اجتهاد الدكتور "عبد العزيز حمودة" من أجل إيجاد بديل عربيّ للمناهج النّقديّة الغربيَّة مجرد محاوله، أصبح ضرورة لأنَّ الوضع لم يعد اقتباسا ونقلا عن الثقافة الغربية فقط، وهذا ما يؤكده الدكتور "عبد العزيز حمودة" بقوله: "لقد أصبحت النظرية النقدية العربية البديلة ضرورة بقاء في عصرٍ تهدّد فيه الثقافة المهيمنة بابتلاع الثقافات القومية".[2]

الملاحظ من هذا القول أنّ الدكتزر "عبد العزيز حمودة" كشف المستور وحذَّر من خطورة النقل عن الحداثة الغربيّة، كما دعا إلى ضرورة قيام نظريَّة نقديّة عربيّة بديلة.

رأى الدكتور "عبد العزيز حمودة" أنه من أجل الخروج من هذا التيه النَّقدي الذي نعيش حاله الضياع الكامل داخله بسبب المناهج النقدية الغربية وعدم مقدرتنا على فهمها، ورغم ذلك اخترنا النقل عنها والسير في طريقها، لابُدَّ لنا من العودة إلى سلطة النَصّ، وهذه الأخيرة هي المحور الأساسي الذي بنى عليه الدكتور "عبد العزيز حمودة" كتابه الأخير، وفي هذا الصدد يقول: "الدعوة إلى العودة إلى النّصّ ليست أكثر من محاوله للمساهمة في تحديد معالم نظرية نقدية عربية بديلة نحلم بتطويرها".[3]

[1] – حمودة، عبد العزيز، الخروج من التيه، ص 09، 10.

[2] – المصدر نفسه، ص 11.

[3] – المصدر نفسه، ص 11.

ما يمكن فهمه من هذا القول أنَّ الدكتور "عبد العزيز حمودة" يؤكد على ضرورة العودة إلى النص لأنَّها تعَدُّ محاولة جادَّة من اجل بناء نظريَّة نقديَّة عربيَّة وتطويرها.

وبهذا يكون الدكتور "عبد العزيز حمودة" قد أثرى السَّاحة النقدية العربية بمشروع نقدي مُمتاز، حاول من خلاله أن ينقذ النقد العربيّ من التَّبعِيَّة، ويعيده إلى هويته وإلى أصله، وهذا يظهر جليا في قوله: "قد تختلف المسالك والدّروب ومن الطّبيعي أن تختلِف، لكن المهمَّ أن نتّفِق على خطورة التّهديدات القائمة بالفعل للثقافة العربيّة، وعلى ضرورة تطوير هوية واقية".[1]

معنى هذا أنَّنا بحاجةٍ إلى بديل عربيّ للمناهج النقدية الغربية، بديل يدلُّ على حضارتنا وعلى هويتنا لنتخلَّص به من النّقل والتّبعِيَّة، لأنّنا بهذا نطمسُ هويتنا ونقضي عليها، وهذا ما تمثَّلت فيه رؤية الدُّكتور "عبد العزيز حمودة" للخطاب النقدي العربي.

من هنا نبدأ المحاولة الفعلية في الفصل الثاني من هذا البحث، وذلك من اجل التعمق أكثر فأكثر في كتاب المرايا المقعرة بغية تبيان جهود الدكتور عبد العزيز حمودة في تأصيل الخطاب النقدي العربي.

[1] – حمودة، عبد العزيز، الخروج من التيه، ص 11.

# الفصل الثَّاني

## التوجُّه النقدي للدكتور
## عبد العزيز حمودة
## من خلال كتاب المرايا المقعَّرة

## 1/فكرة الكتاب ومكانته من الثلاثية:

بعد الضجَّة النَّقدية التي أثارها كتاب "المرايا المحدَّبة: من البنيويَّة إلَى التَّفكيك"، والذي ألَّفَهُ الدّكتور عبد العزيز حمودة سنة 1998م، حيث وصف فيه الحداثيِّين العَرب بأنهم وقفوا أمام مرايا محدَّبة ضخَّمت من أحْجامهم، وجعلتهم يعتقدُون بأنَّ إنجازاتهم النقدية بذلك الحجم المتضخِّم، ويتضح هذا الكلام أكثر من خلال قول الدكتور عبد العزيز حمودة: "الحداثيين في بلاد النَّشأة و في العالم العربي على السواء، وقفوا أمَام مرايا محدَّبة زادت من أَحجامهم وضخَّمتها، وحينما طالت وقفتهم أمام تلك المرايا صدَّقوا في نهاية الأمر أنَّ انجازاتهم النقديّة بهذا الحجم المتضخم"[1].

الملاحظ من هذا القولِ أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة رأى بأنَّ الحداثيِّين العرب، خصوصا البنيويِّين والتَّفكيكِيِّين، بالغوا في تقدير حجم انجازاتهم النقديّة، ونعتَهُم بأنَّهم وقفوا أمام مرايا محدَّبَة زادت من أحجامِهم، وهذا ما جعلهم يصدِّقون بأنَّ إنجازاتهم النقدية بذلك الحجم المتضخِّم.

وهذا الوصف أَغضب العديد من الحداثيين كجابر عصفور، الذي قامت بينه وبيْن الدكتور عبد العزيز حمودة مساجلات كلامية كانت ساحتها الجرائد والمجلات الأدَبية، في حين ان ما قاله الدكتور عبد العزيز حمودة لم يكن رأيه وحده بل نجد كذلك الدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية يؤكد هذا الكلام قائلا: "كما قلت... هؤلاء عاشوا حالة من الانبهار المغشوش وكتبوا مؤلفات مترجمة في لغة غامضة، لان كثيرا منهم لم يفهموا ما قرأوه عن تلك المناهج، ولم يستطيعوا ان ينقلوها بفهم صحيح، ولذلك يحاولون هدم السد المنيع الذي أقامه الدكتور عبد العزيز حمودة في مشروعه النقدي ضد محاولات تغريب الأمة التي قادوها"[2]

وفي الوقت الذي نجد فيه الدكتور أبو صالح يقف إلى جانب الدكتور عبد العزيز حمودة ويؤيده في أفكاره، فإننا نجد كذلك الدكتور عيد بلبع يقف إلى جانب جابر العصفور حيث ألَّف كتابا عنونه

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، 09، 09.

[2] _ أبو صالح، عبد القدوس:(عبد العزيز حمودة انتصر للاصالة)، 3يوليو2008م، https://www.ikhwanonline.com

بـ"خِداع المرايا: ما قبل النظرية"، والذي قام فيه بنقد ما قدَّمه الدكتور عبد العزيز حمودة في كتابَيْه "المرايا المحدّبة"و"المرايا المقعَّرَة"، حيث وصف فيه الدكتور عبد العزيز حمودة بعدّة أوْصاف نذكر منها قوله: "إنَّ صاحب المرايا يؤسِّس لقطيعةٍ أشدّ عنفا في وقعها على العقل العربي من تلك التي يزعمها"[1].

لم يكن الهدف من تأليف كتاب "المرايا المحدّبة" خاصة، والثلاثية النقدية عامة، هو إثارةُ ضجة نقديَّة أَوْ توجيه أصابعِ الاتهام للحداثيّين، وإنَّما كان الهدف هو رفض المناهج النَّقدية التي أفرزها فكر الحداثة الغربية.

رغم ما واجهه الدكتور عبد العزيز حمودة من انتقاداتٍ حول ما قدَّمه في كتاب "المرايا المحدَّبَة"، إلَّا أنَّ هذا لم يقف كحجرة عثرةٍ أمامه، حيث أنَّه واصل طريقه وأكمل ما بدأَه في كتاب المرايا المحدبة، وذلك بتأليفه سنة 2001م كتاب "المرايا المقعرة: نحو نظريَّة نقدية عربيَّة"، وهو يقع في المرتبة الثانية بعد كتابه السَّابق، أقصد بعد "المرايا المحدَّبة"، وكان الَّسبب من وراء تأليف كتاب "المرايا المقعرة" هو أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة بعد إصدارِه لكتاب "المرايا المحدَّبة" وبعد الضّجة النقديّة التي أثارها هذا الأخير، بدأ النَّاس في سؤال الدكتور عبد العزيز حمودة عمَّا ينوي فعله بعد أَن رَفَض المَنَاهجَ التي أفرزهَا فكرُ الحداثة الغربية، إذ لا يجبُ أن يقفَ متفرِّجا، وهذا ما يؤكده الدكتور عبد العزيز حمودة بقوله: "منذ ظهور المرايا المحدبة حاصرتْني الأسئلة، من أناس أعرفهم وآخرين لم أكن قد التقيت بهم في حياتي حتى صدور ذلك الكتاب المشكلة، وماذا بعد المرايا المحدَّبة؟ ماذا بعد أن رفضت المشروعات والاستراتيجيات التي أفرزها فكر الحداثة الغربيَّة وما بعدها؟"[2]

ما يمكن فهمه من هذا القول أنَّ الجدل الذي أثَاره كتاب المرايا المحدَّبة فرض على الدكتور عبد العزيز حمودة تأليفَ كتابٍ آخر من أجلِ إيجادِ حلٍّ لهذا الجدل، ومن أجلِ العثور على بديل لهذه المناهج الغربية.

[1]- بلبع، عيد، خداع المرايا: ما قبل النظرية، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص 31.

[2]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 08.

بدأَ الدكتور عبد العزيز حمودة رحلة البحث عن البديل، وذلك من أجلِ الإجابة على الأسئلة التي حاصرته، وكان أوَّل ما فكَّر فيه هو العودة إلَى التراث العربي القديم، لأنَّه لابد من أن يكون البديل عربيّاً، في حين أنَّ هناك من النُّقاد من رفض فكرة الدكتور عبد العزيز حمودة المتمثِّلة في العودة إلَى التراث، ومن أولئك النقاد نجد الدكتور عيد بلبع الذي يعرّج على فكرة الدكتور عبد العزيز حمودة قائلا: "ومن ثمَّ فإنَّ المنطَلَق الصّحيح ينبغي أن يكون بمساءلة هذا التراث، أن ينشأ السُّؤال بداخلنا نحن عندها نكون قادرين على التواصل ومواصلة الخُطَى، عندها يختفي خطر الذَّوَبان في فكر الآخر وثقافتِه، عندها نكون قد وطَّنَّا أنفسنا بقدر ينفي عنَّا التَّبعِيَّة الفائقة والمعيَّة القاتلة"[1].

ما يتَّضح من هذا القول أنَّ الدكتور عيد بلبع عابَ على الدكتور عبد العزيز حمودة عودته إلَى التُّراث من أجلِ إثبات ان العربي قدم فعلا ما يمكن تسميته نظريَّة نقدِيَّة وعرج على هذا الكلام بقوله بان الحل لهذه التبعِيّة الثقافيّة للغرب ليس بالعودة إلَى التّراث العربيّ القديمِ، وإنَّما الحلُّ يكون بمساءلة هذا التراث، أيْ أن يُنمّي العربِيّ في عصره الحالي عقله ليصل إلَى منهجيَّةٍ في التفكير، وبهذا يصبح إنتاجُ النظريّات النقديّة سهلاً، لأنَّ وقتها العربيُّ يكون لديه طريقةٌ في التفكير خاصة به تساعده في إنتَاج أدَب ونقد يعبّر عنه.

اختار الدكتور عبد العزيز حمودة أن يعنْوِن كتابه الثّاني بـ:"المرايا المقعَّرة"، وقد استَقى هذا العنوانَ من فكرةٍ مفادها أنَّ الحداثيّين العرب وضعوا التّراث العربيّ أمام مرايا مقعَّرة قلَّلت من شأنِه، ويتَّضح هذا أكثر من خلال قول الدكتور عبد العزيز حمودة: "كأنَّ الحداثِيّين العرب في الوقت الذي وقفوا فيه طويلا أمَام المرايا المحدَّبة، فصدَّقوا وهمَ ضخامة إِسهامَاتِهم، قد وضعوا التراث الفكريّ والنقديّ العربِيّ أمام مرايا مقعَّرة قامت بتصغير إِنجَازات العقل العربيّ والتقليل من شأنها"[2].

[1]- بلبع عيد، خداع المرايا، ما قبل النظرية، ص 82.

[2]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 41.

معنى هذا أنَّ الحداثيّين العرب قلَّلُوا من شأنِ إنجازات العقل العربيّ، وأدارُوا ظُهورَهم للتراث العربي، وذلك نتيجةً لانبهارهم بما قدَّمه العقل الغَرْبيّ، وفي ظل انبهارِهم هذا وضعوا التراث العربي أمام مرايا مقعَّرة قلَّلت من شأنِه، وصغَّرت من حجمِهِ، ولَمْ تعطِه حجمَه الحقيقيّ.

استمرَّ الدكتور عبد العزيز حمودة في البحث عن البديل للمناهج الغربيّة، حيث "قضى عاميْن كاملين يقرأُ بنهم غريبٍ أعمال البلاغيّين العرب في العصر الذهبيّ، ابتداءً بالجاحظ وانتهاءً بحازم القرطاجي"[1]، ولكنَّ رجوعه للتُّراث العربيّ لم يكن هيّنا، لأنَّ هذا التُّراث قد قُتِل بحثاً، وقُدِّمت فيه دراساتٌ كثيرةٌ، وهذا ما يؤكِّده الدكتور عبد العزيز حمودة بقوله: "لكنَّ عودتي إلَى تراث البلاغة العربيَّة في عصرها الذهبيّ لم يكن سهلاً لأسباب مختلفةٍ، كان السؤال الذي ألحَّ عليَّ كثيرا هو ماذا أستطيع أنْ أُضيف إلَى الدّراسات المتميّزة للتُّراث التي قام بها جيلٌ من النقاد الكِبار مثل جابر العصفور وشكري عيّاد..."[2]

يتَّضح لنا من هذا الكلام أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة وجد صعوبةً حينما عاد إلَى التُّراث البلاغيّ في عصرِهِ الذهبي، لأنَّ هناك العديد من النّقاد قد فعلوا نفس الشَّيء، وقدَّموا دراسات قيّمة للتراث، ولكنّ الدكتور عبد العزيز حمودة كان يشعر دائما وبرغم هذه الصُّعوبات بِأنَّ البديل لهذه المناهج موجود في التُّراث العرَبِيّ القدِيم، وفي هذا الصّدد يقول: "لكنني كنت أشعر طوال الوقت بأنَّ الإجابة موجودة في التراث البلاغي العربيّ، وأنَّ البديل هناك ولابد من العثور عليه"[3].

لم تكن عودةُ الدكتور عبد العزيز حمودة إلَى التراثِ القديم بدافع الحنين إلَى الماضي، ولا بهدف التّفاخر بمنجزات العقل العرِبيّ، وإنَّما كانت عودته لذلك التراث لأجل هدفٍ واحد ألا وهو البحث عن نظريَّة عربيَّة، أَوْ على الأقلّ خيوط أَوْ إشارات بسيطة تدلُّ فعلا على وجود نظريَّة عربيَّة بديلة تجعل المثقف العربي يستغني عن المناهج النقدِيَّة التي أفرزها فكر الحداثة الغربيّة، وفي هذا يقول الدكتور عبد

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 09.

[2]- المصدر نفسه، صص 09، 10.

[3]- المصدر نفسه، ص 10.

العزيز حمودة:" عدتُ إلَى الماضي بحثاً عن خيوط يمكن تتبُّعُها عند **س** أَوْ **ص** من البلاغيين العرب، خيوط إذا استطعتُ عزلَها وتخْلِيصها من بعض التداخلات المحتمَلة و القائمة بالفعل، يمكن جدْلُها مع خيوطٍ أخرى لتكوين ضفيرةٍ نستطيع أنْ نسمّيها نظريَّة"[1].

الملاحظ من هذا الكلام أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة كان يطمح لإيجاد على الأَقلّ إشارات ولبِنَات أولى لتشكل نظريَّة نقديَّة عربِيَّة، أَوْ لتحديد بداية خيطٍ يمكن اعتباره بداية نظريَّة أدَبيَّة أَوْ لُغويَّة.

إنَّ جهود الدكتور عبد العزيز حمودة لم تذهب سدًى، لأنَّه وبعد دراسته للتراث العربي في عصره الذهبيّ، تفاجأ بأنَّ ما وجده لم يكن مجرَّد خيوط وإشارات فقط، بل كان أكبر من ذلك، حيث في هذا الصدد يقول: "كانت المفاجأة أنَّ ما عدت إلَى التراث البلاغي العربي بحثاً عنه كان أكبر وأقوى بكثيرٍ من مجرَّد "الحدس ببدايات قويّة"، لقد وجدتني أتتبَّع في ذهولٍ خيوطاً أوضح وأضخم من أنْ تتجاهل"[2].

ما يمكن فهمه من هذا القول هو أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة بعد رجوعه للتراث البلاغي العربي في عصره الذهبي وجدَ أنَّ العقل العربي قد قدَم بالفعل ما يمكن تسميته بنظريَّة أدَبيَّة أَوْ لُغويَّة، وقد فعل العقل العربيُّ هذا في وقت كانت تعيش فيه أورُوبا والعالم الغربي ككلّ عصرَ الظّلمات وفترة ضعف، ولتوضيح هذا نورد قول الدكتور عبد العزيز حمودة: "موقفي المبدئيّ أنَّ العقل العربي استطاع في وقت كان عقل أورُوبا أثناءه يغطّ في سبات الجهالة، أنْ يقدِّم فكراً لغويّا ونقدِيّا كان من الممكن لو لم تحدث فترةُ الانقطاع الطويل، ولو لم نقم نحن في انبهارنا بإنجازات العقل الغربيّ في العصر الحديث... هذا الفكر كان يمكن أن يتطوَّر إلَى مدارس لُغويَّة و نقدِيَّة كاملة النضج"[3].

معنى هذا الكلام أنَّ العرب قد سبقوا الغرب في بناء فكرٍ لغويّ، ولكنَهم أهملوا ذلك بسبب القطيعة التي حدثت مع التراث بسبب انبِهارهم بالغَرب في العصر الحديثِ، ممَّا جعلهم يتخلَّون عن

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 10.

[2]- المصدر نفسه، ص 11.

[3]- المصدر نفسه، ص 13.

التراث ويقلّلون من شأنه، لذا كانت عودة الدكتور عبد العزيز حمودة لهذا التراث البلاغي القديم بمثابةِ إعادةِ هذا الأخير لحجمه الحقيقي وإنصافه، وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد العزيز حمودة: "وما افعله في الدراسة الحالية ليس أكثر من محاولةٍ لإنصاف البلاغة العربية والعقل العربي، أردت بها استبدال بالمرايا المقعرة مرايا عاديَّة، ليست محدّبة تضخِّم من حجم تلك البلاغة وإنجازاتها، كما أنَّها ليست مقعَّرة تقلل من شأنِها وتصغِّر من حجمها، مرايا تعكس الحجمَ الحقيقيَّ لإنجازات العقل العربي والبلاغة العربيَّة"[1].

انطلاقا من هذا القول نلاحظ أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة أراد أنْ يقضي على القطيعة التي حدثت بين المثقف العربي وتراثه النقدي والبلاغيّ، وأنْ يعيد للتّراث حجمه الحقيقيَّ بعد أنْ صغّرت المرايا المقعرة من حجمه، وقللت من شأن إنجازات العقل العربي.

تعمّق الدكتور عبد العزيز حمودة في الفكرة التي بنى على أساسها كتاب المرايا المقعرة أكثر فأكثر، حيث تطرَّق إلَى موضوع مهمّ وإلى قضية مهمَّة، وهي ثَقافَة الشرخ، والتي يقصد بها أنَّ العربي يعيش حالة فصام أَوْ يعيش شرخا ثقافيا، يجعل منه علامة ثقافية هائمَة تسبح حسبما يقذفها التيار، ويعود سبب هذا إلى غيابِ نظريَّة عربيَّة ومشروع نقدي عربيّ، حيث في هذا الصدد يقول الدكتور عبد العزيز حمودة: "إنَّ الشَّرخ الذي يعيشه المثقف العربي أَوْ الفصام الذي يتهدَّده كل يوم، يرجع إلَى غياب مشروعٍ ثقافي قومِيّ أَوْ عربيّ، وإنَّ جميع محاولاتنا لتحقيق هذا المشروع أَوْ المشاريع كانت تؤدي دائما إلَى طريق مسدود يؤَكِّد الفصام ويوسِّع الشَّرخ"[2].

يتَّضِح لنا من خلال هذا القول بأنَّ المثقف العربي يعيش حالةَ فصام بسبب عدم امتلاكه مشروعا ثقافيا يدلُّ عليه وعلى انتمائه لتراثه العربي، كما أنَّ جميع المحاولات التي قدمت من أجلِ النهوض بمشروع خاص بالعربي باءت بالفشل، ولم تستطع إلَّا أنْ توسِّع من هذا الصّدع وهذا الشّرخ الثَّقافي.

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 13.

[2]- المصدر نفسه، ص 21.

إنَّ توسّع الشّرخ الثقافي وعدم قدرة العربيّ أَوْ المثقف العربيّ إنْ صحَّ القول على علاجه، جعل من هذا العربيّ شخصاً لا يستطيع تحديد انتمائه، أهو ينتمي إلَى الشرق أَم الغرب؟ حيث أصبح المثقف العربي يعيش في دوامةٍ لانهاية لها، هذه الفكرة تطرَّق إليها الدكتور عبد العزيز حمودة في كتابه المرايا المقعرة تحت عنوان: من نحنُ؟ وفي هذا الصَّدد يقول: "هل نحن شرقيُّون أَم غربيُّون؟ هل نعيش حالة المجتمع الحديث أَم القديم؟ هل ننتمي إلَى التراث العربي أَم إلَى التراث الغربي؟"[1]

ما يمكن فهمه من هذا الكلام أنَّه بسبب عدم قدرة العربي على الاختلاف وانبهاره بالعقل الغربي وإنَجازَاته واحتقاره للعقل العربي وإنَجازَاته، أصبح لا يستطيع تحديد انتمائِه، أهو ينتمي إلَى الشرق أَم أنّه ينتمي إلَى الغرب؟ لأنَّه ببساطة ليس لديه مشروع ثقافي يحدِّد هويته، وهذا ما يجعله يعيش وكأنَّه معلَّق بين القديم والحديث، ولتوضيح هذا الكلام أكثر نذكر **يوسف الخال** حين تحدث عن هذا الموضوع قائلا:" بين كونِنا شكلا في العالم الحديث، وكونِنا جوهرا من خارجه(تناقضنا) يضطرنا إلَى معاناة قضايا مجتمع قديم في عالمٍ حديثٍ، ومعاناة قضايا عالم حديثٍ في مجتمع قديمٍ، ففي التعبير عن معاناتنا تلك نعرض أنفسنا لإنتَاج أدَب يجده القارئ العربي مستوردا غربيا"[2].

هذا القول إن دلَّ على شيءٍ فإنَّما يدلُّ على أنَّ العربيّ يعيش تناقضا مؤلما بين القديم والحديث، حيث تتقاذفُه تيَّارات بين القديم والحديث، وبالتالي يصعب عليه تحديد هويَّته.

إنَّ الشَّرخ الثقافي و الفصام الذي وصل إليه المثقف العربي وُجد منذ أن بدأَ العرب بالاحتكاك بالغرب، أي منذ أنْ بدأ العالم العربي بإرسال بعثَات من الشَّباب العرب إلَى أورُوبا من أجلِ مواكبَة التَّطوُّر، والدكتور عبد العزيز حمودة يؤكد هذا الكلام من خلال قوله: "والواقع أنَّ الحداثة وما بعدها كانتا نتيجةً، ولم تكونا سببا، صحيح أنَهما تمثِّلان ذروة الارتماء في أحضان الثَقافَة الغربية، لكنها ذروة

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 24.

[2]- المصدر نفسه، صص 24، 25..

سبقتها عمليَّة اتِّجاه واعية و مدركة نحو الغرب وثقافته، بدأت في أثناء حكم محمد عليّ، وتمثلت في تحديث التَّعليم و ابتعاث الشباب إلَى أورُوبا"[1].

الملاحظ من هذا القول أنَّ التناقض الذي يعيشه المثقَّف العربي، والشّرخ الذي يعانيه، ليس وليد الحداثة وإنَّما وجد قبلها، أيْ مع بداية إرسال بعثات من الشباب العربي إلَى الغرب، حيث انبهر العربيّ بمنجزات العقل الغربي، وفي الوقت وقلَّل من شأن العقل العربي ومنجزاتِه، ثمَّ تطوَّر الأمر بعد ذلك، حيث بعد أنْ كان مجرّد بعثات ترسل إلَى أورُوبا أصبح في وقت لاحق استعماراً غربيّا عسْكريّا للدول العربية، ولتوضيح هذا أكثر نذكر قول الدكتور عبد العزيز حمودة: "ثم يصبح جسر التأثير الغربي في الثقافة العربية طريقا واسعا ممهَّداً عن طريق الاستعمار الغربيّ، فلم يعد الأمْرُ مقصورا على فئةٍ محدودة من الأفراد يبتعثون إلَى أورُوبا لتعود بانبهارها إلَى الثقافة العربية، لتحاول تحديث العقل العربي،...بل تعدَّاه إلى غزوٍ بشري عسكري يؤكد التفوق العسكريّ والثقافيّ للمنبهرين ويفرض التَّبعيَّة على المترددين"[2].

معنى هذا أنَّ انبهار العربي بالعقل الغربي بدأ كمجرد بعثات من شباب المشرق يتم إرسالهم إلَى أورُوبا ليعودوا منبهرين، بغيةَ تحديث العالم العربيّ ومواكبة إنجازات العالم، ثمَّ تطوَّر الأمر بعد ذلك ليصبح غزوا واستعمارا للدول العربية من طرف الغرب، بداية مع الاستعمار الانجليزي والفرنسي والإسباني والإيطالي، حيث أنَّه تمت السيطرة على أغلب الدول العربية إنْ لم نقل كلّها من قبل الاستعمار الغربي، مما فرض على العرب التبعية الثقافية لهذا المستعمِر، ولأنَّ هذا الأخير كان متفوّقا، فلم يملِك العربي إلَّا الانبهار بهذا التفوق، وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد العزيز حمودة:" وبغض النظر عن قيام المستعمر الأجنبي بفرض التبعية الثقافية بدرجات متفاوتة، وقهر الثقافة القومية وكبتها بدرجات تتفاوت أيضا... فإنَّ الشعوب العربية لم تكن تملك إلَّا الانبهار بمنجزات العقل الغربي"[3].

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 25.

[2]- المصدر نفسه، ص 27.

[3]- المصدر نفسه، ص 27.

لتحديد سبب هذا الشرخ و الفِصَام الثقافي الذي يعانيه العربيّ، قام الدكتور عبد العزيز حمودة بتتبُّع هذا الشَّرخ، حيث وجد أنَّ بدايته لم تكن مع بداية الحداثةِ، لأنَّ هذه الأخيرة جاءت متأخرة بعد نكسة 1967م، في حين أنَّ هذا الشَّرخ الثقافي وجد قبلها، وقد ذكرنا سابقا أنَّ تشكل هذا الفصام وهذا الشَّرخ الثقافي بدأَ مع إرسال البعثات من شباب العرب إلَى أورُوبا، أيْ أنَّه بدأَ مع بداية الانبهار بمنجزات العقل الغربي، وبالتالي فإنَّ الحداثةَ لم تكن سببا للشرخ الثَّقافي، وإنَّما كانت نتيجة لهذا الانبهار، ولتوضيح هذا أكثر نذكر قول الدكتور عبد العزيز حمودة: "لم تكنِ الحداثة نقطة بداية الشرخ، بل كانت مرحلة متأخرة يرى البعض أنَّها بدأت بعد نكسة 1967م، ثم أصبحت تيارا قويّا عالي الصوت مع صدور مجلة فصول المصرية في بداية الثمانينيات، والواقع أنَّ الحداثة وما بعدها كانتَا نتيجة ولم تكونا سبباً"[1].

ما يمكن فهمه من هذا القول أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة تطرق إلَى فكرةٍ مهمَّةٍ متمثلة في أنَّ الحداثة لم تكن هي سبب الشرخ والفصام الذي يعانيه العربي، وإنَّما كانت نتيجة، لأنَّ هذا الشرخ بدأَ قبل ظهورها في الساحة العربيَّة.

ثم دخلت بعد ذلك الحداثة إلَى الساحة العربية لكن قبل التعمق في هذا أكثر لابد لنا من معرِفة أوَّلا ماذا نقصد بكلمة حَدَاثة؟ في هذا الصدد يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه "الحداثة وما بعد الحداثة": "والحداثة هي قبل كل شيءٍ مجموعةُ العمليات التراكمية التي تطوِّرا لمجتمع بتطويرِ اقتصاده وأنماط حياته وتفكيره وتعبيراته المتنوّعة، معتمدةً في ذلك على جدليّة العودة والتجاوز؛ عودة إلَى التراث بعقل نقدي متجذر، متجاوزة التقاليد المكبّلة محرّرة الأنا الإنمائية الدغمائية* الضيقة"[2].

الملاحظ من هذا القول أنَّ الدكتور عبد الوهاب المسيري قد عرَّف لنا الحداثة، ومن خلال هذا التعريف يظهر لنا أنَّ مفهوما لحداثة هو مفهوم إيجابي بكلّ ما تحمل الكلمة من معنى، فحسبما ذكر

[1]– حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 25.

* – الدغمائيَّة: هي حالة من الجمود الفكري يتعصب فيها الشخص لأفكاره لدرجة رفضه الاطلاع على الأفكار المخالفة.

[2]– المسيري، عبد الوهاب، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، 2003م، ص 213.

الدكتور عبد الوهاب المسيري فإنَّ الحداثة تساهم في تطوير الفرد وتطوير فكره واقتصاده...الخ، ولكنّ ما حدث في الساحة العربية بعد دخول الحداثة إليها كان عكس ذلك تماماً، حيث أنَّ أوَّل ما قامت به الحداثة هو الرفض القاطع للتّراث، أَوْ ما يسمى بالقطيعة مع التّراث، وفي هذا يقول الدكتور عبد العزيز حمّودة، "فإنَّ الحداثة في نسختيْها العربية والغربية على السواء، تتجه إلَى تدمير عمد النظام القديم، ومن الطبيعي ان يجيءَ التّعبير الفنّي والأدَبي الذي تنتجه الحداثة رفضاً قاطعا للتّقاليد الفنية السابقة، بل رفضاً أيضاً لفكرة التّقاليد نفسها"[1].

معنى هذا الكلام أنَّ الحداثة العربية رفضت التراث والتقاليد الفنية القديمَة، وقامت بالقطيعة مع التراث، وبالتَّالي أنتجت أدَباً رافِضاً ه وكذلك للنظام القديم ومعاكسا له.

صحيحٌ أنَّ ما قدَّمه الحداثيُّون أمثال جابر عصفور جدير بالذكر، لأنَّهم استطاعوا أَوْ حاولوا النهوض بالأدَب والنقد في فتْرة كان يعاني فيها الإنسان العربي من الضعف والانكسار، ولكنَّ رفضهم للتراث وللتقاليد الفنية السابقة جعلهم يصلون في الأَخير إلَى طريق مسدود، وهذا كان بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير، فبعدمَا كان العربيُّ يحاول أن يتحرَّر من قيود الماضي التي تجعله إنسَانا منحازاً ومتعصبا اتجاه العنصر العربي، والتي تجعله كذلك في جمود دائم، حاول التحرُّر منها ليحقق الإبداع لذاته، ولكنَّه أصبح بعد الحداثة يعاني من شيء أكبر من التحرّر من الماضي، ألَا وهو التبعية الثقافية للغرب، وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد العزيز حمودة: "ففي الوقت الذي ارتبطت الحداثة عامَّة بالرغبة في التحرر من قيود الماضي المكبلة لحرية الإبداع، انتهت الحداثةُ العربيّة إلَى إدارةِ ظهرها بالكليّة للتراث الثقافي العربي، لتقع أسيرةَ قيودٍ جديدةٍ وأكثر قهرا وإيلَاما، وهي قيود التبعية للثقافة الغربية"[2].

الملاحظ من هذا القول أنَّ احتقار العربي لتراثه والقطيعة التي أحدثها معه أدَّت به إلَى الدخول في مشكلةٍ أكبر من تلك التي كان يعاني منها وهي التبعية الثقافية للغرب.

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 42.

[2]- المصدر نفسه، ص 48.

بعد أنْ تطرق الدكتور عبد العزيز حمودة إلَى الفصام أَوْ الشرخِ الثقافي الذي يعانيه العربيُّ وسبب حدوثه، وقف بعدَ ذلك عند العديد من المحطَّات التي تصبُّ كلُّها في وعاء واحد ألَا و هو العودة إلَى التُّراث، ووصل ما انقطع من أجلِ النهوض بالنقد و إيجاد نظريَّة نقديَّة عربِيَّة بديلة لما أفْرَزَهُ فكر الحداثة الغربية، لأنَّ في نظر الدكتور عبد العزيز حمودة الرجوع إلَى التراث هو الحل الوحيد، ومن أجلِ تأييد وتأكيد هذه الفكرة قدم في هذا الكتاب العديد من الأدلة، ولتوضيح ذلك أكثر نذكر قوله: "إنَّنا في حقيقة الأمْر عاجزون عن تحديد انتمَاءَاتِنا بالدرجة الأولى، مفهوم فتح النص وإغلاقه في حدّ ذاته قديم قدم النقد ذاته، وهو أمر لا يحتاج إلَى إثبات أَوْ مناقشةٍ أَوْ تفصيل، أمَّا نحن فنتصرف في انبهارنا بإنجازات العقل الغربي كأننا أمام فتحٍ نقديّ جديدٍ قدَّمته الحداثة وما بعدها"[1].

من خلال هذا القول يتَّضح لنا أنَّ انبهار العربي بإنجازات العقل الغربي أعماه عن رؤية مميّزات تراثه البلاغي القديم، وبالتالي أفقده الانبهار هويته وأصبح يعاني من التبعية للثقافة الغربيّة، في حين أنَّه كان يستطيع بناء نظريات نقدِيَّة خاصَّة به وذلك بالعودة إلَى التراث البلاغي القديم، ولكن وضعه للتراث أمام مرايا مقعَّرة قلل من شأنه ولم يعطه حجمه الحقيقي.

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 154.

## 2/الأدوات النقدية (الخطَّة والمَنهج):

إنَّ كل كتاب يتم تأليفه لابد أنْ يتبع فيه المؤلف منهجا وخطَّة من أجلِ الوصول إلَى الهدف المرجوّ من هذا الكتاب، وبطبيعة الحال فإنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة فعل الشيء نفسه حينما ألَّف كتابه الموسوم بـ"المرايا المقعَّرة:نحو نظريَّة نقديَّة عربِيَّة"، حيث أنَّه رسم لنفسه في هذا الأخير منهجا وخطَّة سار عليهما من أجلِ الوصول إلَى هدفه، وفيما يأتي سنتطرَّق إلَى المنهج المتبع، و كذلك الخطة التي رسمها الدكتور عبد العزيز حمودة في هذا الكتاب.

### أ- المنهج:

سار الدكتور عبد العزيز حمودة في كتاب المرايا المقعَّرة على منهج معيَّن فرضته عليه طبيعة الدراسة التي كان يقوم بها في هذا الكتاب، حيث كان هذا الأَخِير-أقصِد كتاب المرايا المقعَّرة- يهدف إلَى إيجاد نظريَّة نقديَّة عربِيَّة بديلة للمناهج النقدية الغربية، وهذا الهدف فرض عليه منهجا خاصا، ولتوضيح هذا المنهج نذكر قول الدكتور عبد العزيز حمودة:"في ضوءِ ذلك الهدف لم يعد منهجُ الدراسة يقوم على دراسة شاملة ومتعمِّقَة للأسماء البارزة في تاريخ البلاغة العربية... بل كان الهدف ومن ثمَّ المنهج هو تحديدُ بداية خيط ما يمكن اعتباره بداية لضفيرة نظريَّة في اللغة أَوْ نظريَّة في الأدَب، ثم تتبعه عند الآخرين إلَى أن نصل إلى ذروةِ تأكيد وجوده"[1].

يتَّضح لنا من خلال هذا القول أنَّه نظرا لأنَّ طبيعة الدراسة التي قدمها الدكتور عبد العزيز حمودة أجبرته على العودة إلَى التراث القديم ودراسة الكثير من الأسماء الوازنة في البلاغة العربية القديمة، قد يجعل هذا القارئ لكتاب المرايا المقعَّرة يعتقد للوهلة الأولى أنَّ المنهج المتّبع في هذا الكتاب ما هو إلَّا دراسة شاملة للأسماء البارزة في البلاغة القديمة كالجاحظ وابن طباطبا والجرجاني وغيرهم، وكمحاولة لتجنُّب سوء الفهم هذا، قام الدكتور عبد العزيز حمودة بالتعريف بالمنهج المتبع في مقدّمة كتاب"المرايا المقعَّرة"حيث أنَّ هذا المنهج متمثِّل في تحديد بداية خيط أَوْ إشارة عند ناقد من النقاد القدماء، ثم تتبعه

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، صص 10، 11.

إلَى أنَّ يصل في الأخير إلَى نظريَّة لُغويَّة أَوْ أدَبيَّة، وذلك بتتبع مجموعة من الخيوط عند مجموعةٍ من النقاد العربِ القدماء.

**ب– الخطة:**

اعتمد الدكتور عبد العزيز حمودة في كتاب "المرايا المقعَّرة" على خطة بحث مكَّنته من الوصول إلَى هدفه المتمثل في إيجَاد نظريَّة نقدية عربِيَّة بديلة للمناهج النقدية الغربية حيث بدأَ كتابه هذا بتمهيد تطرَّق فيه إلَى سبب تأليفه لهذا الكتاب، وكذلك إلَى سبب تسميته له بالمرايا المقعرة، وفي هذا الصدد يقول

الدكتور عبد العزيز حمودة: "وما أفعله في الدِّراسة الحالية ليس أكثر من محاولةٍ لإنصاف البلاغة العربيَّة والعقل العربي، أردت بها أنَّ أستبدل بالمرايا المقعَّرة مرايا عاديَّة ليست محدَّبة تضخِّم من حجم تلك البلاغة وإنجازاتها، كما أنَّها ليست مقعَّرة تقلل من شأنِها وتصغِّر من حجمها، مرايا تعكس الحجم الحقيقي لإنجازات العقل العربي والبلاغة العربيَّة"[1].

معنى هذا القول أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة قد جعل تمهيد كتابه الموسوم بـ: "المرايا المقعرة" خاصّا بالحديث عن هدفه من وراء تأليف هذا الأخير، وذلك لكي تتَّضح الصورةُ للقارئ قبل التعمق وبداية قراءته الفعلية لهذا الكتاب وهذه الدراسة.

بعد هذا التمهيد بدأت الدراسة الفعليّة، حيث قسَّم كتابه إلَى جزأين؛ تطرَّق في الجزء الأوَّل إلَى موضوع الحداثة والقطيعة مع التراث، كما أنَّه قسَّم هذا الجزءَ إلَى فصلين، جعل الفصل الأوَّل للحديث عن ثَقافَة الشّرخ، والشرخ هنا يقصد به الصَّدع والفصام الذي يعانيه المثقَّف العربيّ، والذي يرجع إلَى غياب المشروع الثقافي، وغياب هذا الأخير أدّى بالعربيّ إلَى الانبهار بإنجازات العقل الغربي، مما أحدث قطيعةً مع التراث العربي، لأنَّه في ظل انبهار المثقف العربي بما قدمه الغرب أدار ظهره كلّيّا إلَى تراثه العربي ولم يعد مهتما بإنجازات العقل العربي، ولكن انبهاره هذا أدخلَهُ في دوامةٍ أكبر، وزاد من حجم الشّرخ الذي يعانيه، هذا الكلام الذي ذكرته الآن هو بمثابة الفكرة الرئيسيّة للفصل الأوَّل الموسوم بثقافة الشرخ.

[1]– حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 13.

أما الفصل الثاني من هذا الجزء فقد جعله الدكتور عبد العزيز حمودة خاصّا بموضوع آخر، ووسمه بـ: "من النتائج إلَى المقدِّمَات"، وهذا العنوان إن دلَّ على شيء فإنَّما يدل على أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة قد غيَّر في طريقة دراسته، حيث أنه اتَّبع الطريقة التقليدية التي تدرس القضية بداية بالمقدمات لتصل بعد ذلك إلَى النتائج، لكنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة قد عكس هذه الطريقة، حيث أنَّه بدأ بالنتائج ليذهب بعدها إلَى المقدمات، فكما ذكرنا في الفصل السابق أنَّه تحدث عن ثَقافَة الشرخ والتي هي نتيجة للانبهار بالغرب، في حين أنَّه أجَّلَ الحديث عن السبب الذي جعل المثقف العربي يصل إلَى

هذه الحالة، وليتأكد هذا الكلامُ نذكر قول الدّكتور عبد العزيز حمودة: "في الفصل السابق عن "ثَقافَة الشَّرخ" يمكن القول أنَّ المؤلف بدأ من نهاية قضيَّته، كان التركيز على وصف جوانب الشرخ المختلفة، وقد أجَّلنا الحديث التفصيليّ عن القرائن إلَى الفصل الحالي"[1].

وبهذا يكون الدكتور عبد العزيز حمودة في هذا الجزء الأوَّل من الكتاب بفصليْه قد قدَّم لنا معالم القطيعة المعرفيَّة مع التراث العربيّ، والتي كانت بهدف تحديث العقل العربي ومواكبةِ عصر الإنجازات، ولكن ما تحقق على أرض الواقع كان عكس ذلك تماماً، لأنَّ الدَّعوة إلَى تحديث العقل العربي تحوَّلت إلَى تبعيَّة ثقافيَّة وانبهار بكل ما هو غربي، وبالتالي احتقار التراث العربيِّ، مما أَحدث قطيعة معه، وتنكرا له، وفي هذا الصّدد يقول الدكتور عبد العزيز حمودة: "لقد استغرقنا فصْليْن كاملين وطويليْن لنحدِّد معالم الدعوة لقطيعة معرفية مع تراثنا النقدي، وهي الدعوة التي ركبت موجة الشعور القوي والرغبة الصادقة في تحديث العقل العربي... وعلى الرغم من شرعيّة الدعوة للتحديث، فإنَّ ما حدث أنَّ البعض حوَّل ذلك الشعور الصادق إلَى دعوةٍ للأخذ بكل ما هو غربي"[2].

ما يمكن فهمه من هذا القول أنَّ القطيعة التي أحدثها المثقف العربي مع تراثه النقدي كانت في الأوَّل بهدف تحديث العقل العربي، لأنَّ هذا الأخير كان يعيش آنذاك حالةَ ضعف وانكسار، وكان

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 99.

[2]- المصدر نفسه، صص 160-162.

بحاجة لمن ينقذه من هذه الحالة، لذا لجأ للثقافة الغربيَّة لأنَّها تعدُّ ثَقافَة قوية ومتطوّرة، وبالتالي الاحتكاك بها قد يؤدي إلَى التطوُّر، ولكن ما حدث أنَّه في ظل انبهار المثقَّف العربيّ بإنجازات العقل الغربي تحوَّل هذ التحديث إلَى نقل واقتباس كل ما هو غربي.

وفي الجزء الثَّاني من هذا الكتاب الذي عنوَنَهُ الدكتور عبد العزيز حمودة بـ: "وَصل ما انْقَطعَ نحو نظريَّة نقدِيَّة عربِيَّة" حاول فيه إيجَاد الحلول لهذا الشرخ الذي يعانيه المثقف العربيّ، ولأجل القضاء على هذه القطيعة التي أحدثها العربيُّ مع تراثه، وفي هذا الصدد يقول الدكتور مصطفى امزير: "في كتابه "المرايا المقعَّرة" يُخصّص عبد العزيز حمودة الجزء الثاني المعنون بـ: "وصل ما انقطع لتحديد معالم ما أسماه بالنظرية النقديَّة العربيَّة"[1].

قسَّم الدكتور عبد العزيز حمودة هذا الجزء بنفس الطريقة التي قسَّم بها الجزء السَّابق إلَى فصلين، ولكنَّه أضاف إلَى هذا الجزء مدخلا قبل التطرق إلَى الفصلين، تناول في هذا المدخل اتِّجاه الحداثة وما بعد الحداثة والتغيير الذي حدث في العالم العربي بعد ظهور هذا الاتجاه، أَوْ بصريح العبارة الفراغ الذي أحدثته الحداثة في السَّاحة العربية، وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد العزيز حمودة: "إنَّ التحوُّل في اتجاه الحداثة ثم ما بعد الحداثة الغربيَّتيْن خلق الفراغ بقدر ما أكَّده، فشعار القطيعة المعرفية مع التراث خلق فراغا أدَّى إلَى تبنِّي الفكر الغربي كبديل لملءِ الفراغ الجديد، وفي الوقت نفسه فإنَّ التحول الحداثيّ كان يعني خلوَّ الساحة الثقافية العربية من فكر لغوِيٍّ ونقدِيٍّ ناضجٍ"[2].

الملاحظ من هذا القول أنَّ الفكر الحداثيَّ قد خلق حالةً من الفراغ في الساحة العربية، فكما ذكرنا سابقا أنَّ الحداثة تحمل في عمقها فكرةً مهمَّةً متمثِّلةً في التحرّر من قيود الماضي من أجلِ التطور، ولكن يبدو أنَّ العربيَّ قد فهم الحداثة فهماً خاطئا، لأنه لم يتحرّر من قيود الماضي بل أحدث قطيعةً مع

[1]- امزير، مصطفى، مرايا عبد العزيز حمودة والدعوة لتأصيل نظرية عربيَّة في النقد، 7 نوفمبر 2018، http://www.alquds.co.uk.

[2]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 195.

تراثه العربي، وهذا ما جعله يخلق فراغا ثم حاول بعدها ملء هذا الفراغ بتبني الفكر الغربي، وسرعان ما تحوَّل هذا التبنِّي إلى تبعيَّة ثقافيَّة وارتماء في أحضان الغرب.

بعد هذا المدخل انتقل الدكتور عبد العزيز حمودة إلَى الفصل الأوَّل من هذا الجزء، وسمّى هذا الفصل بـ:"النظريّة اللّغويَّة العّربيَّة"، وأوّل ما يتبادر إلَى أذهاننا من هذا العنوان أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة يحاول في هذا الفصل الوصول إلَى نظريَّة لُغويَّة عربِيَّة بديلة للمناهج الغربيّة، في حين أنَّ الكثير من النُّقّاد انتقدوا الدكتور عبد العزيز حمودة في هذه النقطة، وجعلوا الأمرَ مستحيلا، حيث نجد الدكتور عيد بلبع الذي علق في كتابه "خداع المرايا"على محاولة الدكتور عبد العزيز حمودة لإيجَاد نظريَّة بديلة قائلا: "فإقامةُ علم وإنضاجه والتأسيس لنظريَّة متكاملة أمرٌ يحتاج إلَى تأمُّل وتدبُّر وطول معايشةٍ لأصول هذا العلم، واستقراء كامل لجهود السابقين في هذا المجال"[1].

من هذا القول يظهر لنا أنَّ الدكتور عيد بلبع يستصعب فكرةَ تأسيس نظريَّة عربيَّة بديلة للمناهج الغربيّة، ويفسِّر كلامه هذا بأنَّ الأمر يحتاج للكثير من الجهد.

حاول الدكتور عبد العزيز حمودة في هذا الفصل تتبُّع مجموعة من الخيوط عند مجموعة من النقاد والبلاغيين العربِ القدماء، الذين ينتمون إلى التراث البلاغي القديم، خصوصا العصر الذهبي–العصر العباسي–أمثال عبد القاهر الجرجاني، قدامة بن جعفر، ابن سنان، ابن حازم القرطاجي... وغيرهم، وذلك من أجلِ إيجَاد نظريَّة لُغويَّة أَوْ على الأقل إشارات بسيطة تدلُّ على وجود نظريَّة لُغويَّة عربِيَّة، وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد العزيز حمودة: "وفي تتبُّع تلك الخيوط البارزة حاولنا إثبات ثراء البلاغة العربيَّة بدرجة تكفي لتحديد معالم نظريَّة لُغويَّة عربيّة...من ناحية ثانيةٍ فإنَّ هدفنا الثاني كان محاولة إثبات أنَّ تلك الخيوط البارزة و الأساسيَّة كان يمكن لنا لو أنَّنا لم نختَر القطيعة المعرفية مع التراث تطويرُها إلَى نظريَّة لُغويَّة عربِيَّة أَوْ علم لغويات عربي متكامل وناضج"[2].

[1]– بلبع، عيد، خداع المرايا، ص 28.

[2]– حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 304.

معنى هذا القول أنَّه بعد تتبُّع الدكتور عبد العزيز حمودة لهذه الخيوط وجدَ أنَّ العقل العربيّ قد قدَّم بالفعل ما يمكن تسميته بنظريَّة لُغويَّة عربِيَّة بديلة، ولولا القطيعة التي أحدثها المثقَّف العربيّ مع تراثه لكان الآن يستطيع تطوير نظرية لغويَّة خاصّة به دون اللجوء للثقافة الغربية.

أمَّا الفصل الثاني من هذا الجزء فقد توسَّع فيه أكثر، حيث أنَّه تطرَّق إلى النظريَّة الأدَبية العربية، ورأى بأنَّه كما بحث عن خيوط لتأكيد وجود نظريَّة لُغويَّة عربِيَّة، لا بدَّ له إذاً من البحث عن خيوط وإشارات تدلُّ على وجود نظريَّة أدَبيَّة عربِيَّة، وقد اتَّبع نفس الطريقة التي اتَّبعها في الفصل السابق، حيث أنَّه عاد إلَى التراث بحثا عن نظريَّة أدَبيَّة، واستعان في ذلك البحث بمجموعةٍ من الأسماء الأدَبية الوازنة أمثال عبد القاهر الجرجاني، قدامة بن جعفر، وحازم القرطاجني، كما أنه استعان ببعض القضايا النقديَّة القديمة كقضية الشكل والمضمون التي اعتمد عليها اعتمادا كبيراً من أجلِ إثبات وجود نظريَّة أدَبيَّة عربِيَّة، وفي هذا الصّدد يقول الدكتور عبد العزيز حمودة: "إنَّ ما أنتَجَه العقل العربي عن الطبيعة الإبداعية للأدَب، وبرغم كل ذلك الاشتغال الواضح بالفكر اليوناني في الشعر والخطابة والمنطق، تخطَّى بمراحل كثيرةٍ كلَّ ما كتبه أرسطو حول الطبيعة الإبداعية للمحاكاة، وبصورةٍ تجعل من الظلم البيِّن إرجاع إنجازات البلاغة العربية إلَى التأثير الأرسطي"[1].

يتَّضح لنا من خلال هذا القول أنَّ العقل العربيَّ حسب الدكتور عبد العزيز حمودة قد سبق الفكر اليوناني وتخطاه بمراحل في الاهتمام بالأدَب، ولكنَّنا دائما نرجع الفضل إلَى اليونانيِّين، وإلى فكر أرسطو، ولا نعترف بجهود العرب في الإبداع الأدَبي.

وآخر نقطةٍ تطرَّق إليها الدكتور عبد العزيز حمودة في هذا الكتاب ألَا وهي الخاتمة، والتي لا تخلو أيُّ دراسة من وجودها، حيث أدرج فيها الدكتور عبد العزيز حمودة عُصَارة ما قام بعرضه في هذا الكتاب، ولعلَّ أبرز ما قاله في هذه الخاتمة هو: "فقد توقَّفنا في رحلتنا المطوَّلة مع النظرية اللغوية والنظرية الأدَبية العربيَّتيْن عند محطات كثيرةٍ تؤكِّد أنَّ مناطق اللقاء بين القديم العربي والحديث الغربي أكثر من

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 305.

مناطق التَّباعد، بل إنَّ الحديث الغربي قد سجّل عند أكثر من محطةٍ سبقا لا شك في نسبته للقديم العربي"[1].

وبهذا يكون الدكتور عبد العزيز حمودة قد اثبت أنَّ الثقافة العربية ليست ثَقافَة مفلسة كما يعتقد البعضُ، إنَّما هي ثَقافَة قد قدمت الكثير للعربي، ولكنَّ هذا الأخير أدَارَ ظهرَه لها وانبهر بإنجازات العقل الغربي، وبهذا يكون قد وضعها أمَام مرايا مقعَّرة قلَّلت من شأنِها ومِن شأن التراث العربي.

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 491.

**3/التوجُّه النقدي لتأصيل الخطاب النقدِي العَرَبِيّ (رؤية الدكتور عبد العزيز حمودة للخطاب النَّقدي العربيّ، موقفه منه، تصوّره لأزمة الخطاب، تصوره للحلول):**

إنَّ فكرة التَّأصيل للخطاب النقدِيّ العربِيّ قد حظيت باهتمامِ العديد من رواد النقد العربِيّ، حيث أنَّه لا يمكننا إنكار الجهود الجبَّارة التي قدمها هؤلاء من أجلِ التأصيل للخطابِ النَّقدي العرَبِيّ، ولتأكيد هذا نورد نصّا للدكتور لطفي فكري محمد الجودي يقول فيه: "فلا نستطيع أن ننكر الجهود التي قام بها الرُّوّاد والباحثون العرب الأجلَّاء في سبيل التأسيس لتنظير عربي لمنهج نقديّ أدَبي"[1].

الملاحظ من هذا القول أنَّ النقاد والباحثين العرب كانت لهم جهود ومحاولات جادَّة من أجلِ التنظير والتأصيل للخطاب النقدي العربي.

إذا ما أعدنا النَّظر في الموضوع سنجد أنَّ صاحب المشروع الأبرَز والأضخم هو الدكتور عبد العزيز حمودة، حيث أنَّه قدّم محاولة جادَّة للتأصيل للخطاب النقدي العربي، وذلك من خلال إصدارِه لثلاثيَّته النّقدية، والتي أحدث بها زلزالا ثقافيا وضجَّة في الساحة النقدية العربيّة، وفي هذا الصدد يقول الدكتور لطفي فكري محمد الجودي: "إذا ما بحثنا عن صاحبا لمشروع الأبرز والصّوت الأكثر اعتدالا في هذا المجال من بَيْن أَصْحاب الاتجاه السلفي من المعاصرين نجد أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة يجسِّد نموذجا جيّدا لتمثيل هذه المرحلة"[2].

معنى هذا القول أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة حاول من خلال ثلاثيَّته النقدية أنَّ يقدم تنظيرا ومحاولةً لتأصيل الخطاب النقديِّ العربِيّ.

بعد أن رفَض الدكتور عبد العزيز حمودة المناهج النقدِيَّة التي أفرزها فكرُ الحداثة الغربيَّة، وذلك من خلال تأليفه لأوّل كتاب له من ثلاثيته النقدية، والذي عنوَنَه بـ: "المرايا المحدَّبة: من البنيوية إلَى التفكيك"، حاول في الكتاب الذي يليه في الثلاثيَّة أنَّ يقدِّم بديلا لرفضه للمناهج النقدية الغربية، ووسَمَ

[1]- الجودي، لطفي فكري محمد، نقد خطاب الحداثة، في مرجعيات التنظير العربي للنقد الحديث، ص25.

[2]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 30.

هذا الكتاب بـ: "المرايا المقعَّرة: نحو نظريَّة نقدِيَّة عربِيَّة"، ومن هنا بدأت رحلةُ التَّأصيل للخطاب النقدي العربي، حيث أنَّه سعى في هذا الأخير إلَى إيجَاد نظريَّة نقدِيَّة عربِيَّة بديلة للمناهج النقدية الغربية، وفي هذا يقول الدكتور علي بن محمد الحمود: "وكتابُه الثاني المرايا المقعَّرة خصَّه لتقديم بديل للمناهج الحداثية"[1].

يتَّضح لنا من هذا القول أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة قد ألَّف كتاب المرايا المقعرة للبحث عن نظريَّة نقدِيَّة عربِيَّة بديلة لما قدَّمه فكر الحداثة الغربية من مناهج.

إنَّ أوَّل شيءٍ تطرَّق إليه الدكتور عبد العزيز حمودة في كتاب المرايا المقعرة هو أزمة الخطاب أَوْ أزمة المثقَّف العربي، حيث يذكر الدكتور عبد العزيز حمودة أنَّ هذه الأخيرة بدأت منذ الفترة التي اقتنع فيها العربي بضرورة الاحتكاك بالغرب من أجلِ تحديث العقل العربي، ولتأكيد هذا الكلام نورد للدكتور عبد العزيز حمودة نصّاً يقول فيه: "لقد تحرَّك العقل العربي الحداثي في اتجاه الثقافة الغربية في ظرف تاريخي شعر فيه العربيُّ بالحاجة المصيريَّة للتحديث، ومع كثير من الانبهار بمنجزات العقل الغربي واحتقار العقل العربي ومنجزاته، تحوَّل الحداثيُّون من "التعلُّم" إلَى الاندماج دون أنَّ يدركوا الاختلاف أَوْ يستشعروا الخطر"[2].

معنى هذا أنَّ لجوء الحداثي العربي إلَى الثقافة الغربيَّة كان في الأوَّل بدافع تحديث العقل العربي، ولكن سرعان ما تحوَّل هذا التحديث إلَى اندماج في الثقافة الغربيَّة بسبب انبهار الحداثي العربي بما أنتجه العقل الغربي.

حذّر الدكتور عبد العزيز حمُّودة في كتاب "المرايا المقعَّرة" من خطر الانبهار بمنجزات العقل الغربيّ، واعتبرَ أنَّ هذا هو السّبب الرئيسي الذي أوصل العربيّ إلَى الأزمة، وبهذا يكون العربي قد سهَّل على الغرب مهمَّة السيطرةِ على الثقافات القوميَّة، وفي هذا الصّدد يقول الدكتور عبد العزيز حمُّودة:

[1]- الحمود، علي بن محمد، النقد الإسلامي: الواقع والمأمول، ص 55.

[2]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، صص 84، 85.

"وهكذا لم يجهد الغربُ نفسه كثيرا ليوصلنا إلَى ما يريده هو، مع قناعتنا إلَى أنَّ ذلك ما نريده نحن، لقد سهَّل بعض الحداثيّين مهمَّة العقل الغربي في تحقيق السَّيطرة والهيمنة"[1].

ما يمكن فهمه من هذا القول أنَّ اقتناع العربيّ بأنَّ اقترابه من الغرب هو الحلُّ الوحيد للتحديث والتطور، جعل منه يسهِّل ويمهِّد الطّريق أمام الغرب من أجل الهيمنةِ على الثقافات القوميَّة العربيَّة.

ليكون النَّاتج في الأخير هو الأزمة والصّدْع والشَّرخُ الذي أصبح العربيُّ يعانيه، وكذلك الازدواجيَّة، وكان أول ما انعكسَت عليه هذه الأزْمَة هو الإنتاج الأدَبيّ، حيث أنَّه في ظل انبهار العرب بإنجازَات العقل الغربيّ بدأوا في النَّقل والاقتباس عن الثَّقافة الغربيَّة، وتجلَّى هذا في اقتباس حداثة غربيَّة ونقلها إلَى الحداثة العربيَّة دون مراعاةٍ للاختلاف بين الثَّقافتيْن، وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد العزيز حمُّودة: "كان من الطبيعيّ أنْ تعزّز عمليات النقل والاستعارةِ من فكرِ الآخرِ في انبهارٍ أعمَانَا عن الاختلاف الذي يصل إلَى ذروته في وضع العلميَّة "أو العقلانيَّة" والدين على طرفي نقيض، على أساس أنَّ الدِّين فكرٌ غيبِيّ يتعارض مع التفكير العلمي والعقلانيَّة، أزْمَة حادة في المصطلح"[2].

يتَّضح لنا من هذا القول أنَّ انبهار الحداثيّ العربي بإنجازات العقل الغربي أدَّى به إلَى النّقل عن الثقافةِ الغربيَّة، ليصِلَ هذا النَّقلُ إلَى نقل المصطلحات النقديَّة الغربيَّة كذلك، مما سبّب أزْمَة حادَّة في المصطلح لأنَّ الثقافةَ الغربيَّة تختلف كلّ الاختلاف عن الثَّقافة العربيَّة، وبالتالي مصطلحات الثَّقافة الغربيَّة تختلف عن مصطلحات الثَّقافة العربيَّة، لذا فالمصطلحات التي تصلح للثقافةِ الغربيَّة ليس شرطا أنَّ تصلح لغيرها منا لثقافات.

لتوضيح هذا أكثر استدلَّ الدكتور عبد العزيز حمُّودة بنصٍّ للدكتور محمد عناني والذي يقول فيه: "ولم يعد البعض يستخدم كلمةَ "التناول" أو "المنهج" لا بل ولا الدراسة مفضلا كلمَة "المقاربة" وهي

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 85.

[2]- المصدر نفسه، صص 91، 92.

ترجمة عربيَّة لكلمة approch الإنجليزية التي لا تعني أكثر من أيٍّ من هذه الكلمات، وإن كانت قد توحي للقارئ بفيضٍ عميمٍ من المعرفة والتبحر في المذاهب الحديثة"[1].

الملاحظ من هذا القول أنَّ الدكتور عبد العزيز حمُّودة قدَّم لنا مثالا لأزْمَة المصطلح التي أصابت العربيَّ، حيث أنَّه يفسّر هذا بأنَّ النقاد أو الحداثيّين العرب كانوا ينقلون المصطلحات الغربيَّة ويقومون بترجمتها إلَى العربيَّة بهدف مواكبة إنجازات العالم، حتى وإنْ كانت هذه المصطلحات لا تناسب ثقافةَ العربيّ، أو بمعنى آخر، فإنَّ العربيَّ كان ينقل أو يترجم المصطلحات الغربيَّة إلَى العربيَّة لمواكبة آخر صيحات الموضة.

لم تتوقَّف الأزْمَة عند هذا الحد، بل تحوَّلت من مجرّد أزْمَة مصطلح إلَى أزْمَة أكبَر وأشدّ خطرا، ألا وهي أزْمَة الثَّقافة، وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد العزيز حمُّودة: "أن الأزْمَة ليست كما قد يتصوَّر البعض أَزْمة مصطلح وترجمته ونقله إلَى العربيَّة، بل أزمَةُ ثقافة، الثقافات التي أفرزت ذلك المصطلح، أزمة اختلافٍ حضاري وثقافي بالدرجة الأولى"[2].

معنى هذا القول أنَّ الأزْمَة ليست أزْمَة مصطلح فقط كما يقول الدكتور عبد العزيز حمُّودة، بل هي أزمَة ثقافةٍ، أيْ أنَّ العربيَّ حينما ينقل ذلك المصطلح الغربيّ ويترجمه إلَى العربيَّة فهو بهذا لا ينقل المصطلح بمعزل عن محيطه، وإنّما ينقله بكلّ عوالقه وخلفياته الفلسفيَّة التي تعبر عن حضارته الغربية.

بعد أنَّ حدَّد الدكتور عبد العزيز حمُّودة معالم أزْمَة الخطاب النقدي العربي، انتقل إلَى نقطةٍ أخرى ألَا وهي إيجَاد البديل والحل لما أفرزه فكر الحداثة الغربيَّة، وذلك لأجل التّخلص من هذه الأزْمَة التي لحقت بالعربيّ، حيث بعد أن خاض الدّكتور عبد العزيز حمُّودة رحلةً طويلةً بحثا عن البديل، وصل أخيرا إلَى أنَّ هذا البديل موجود في التراث العربي القديم، لذلك لابد من العودة إلَى التراث بحثا عنه، وبالتَّحديد التراث العباسي، لأنَّ الأدَب عامة شهِد تطورا وازدهارا كبيرا في هذا العصر، وبعد عودته للتراث كان

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 93.

[2]- المصدر نفسه، ص 55.

أوّل ما فعله هو أنَّه قسّم هذه النَّظريَّة البَدِيلة التي يبحث عنها إلى نسقيْن، نسق لغويّ ونسقٌ أدبي، وبهذا سيبحث الدكتور عبد العزيز حمُّودة عن نظريتين وليس نظريّة واحدة، حيث أنَّه سيبحث عن نظريَّة لغويَّة ونظريَّة أدبيَّة، ليُكوِّنَ بعدها شقَّي نظريَّة نقديَّة عربيَّة بديلة.

## 1. النَّظريَّة اللغويَّة العربيَّة:

اعتبر الدكتور عبد العزيز حمُّودة أنَّ الجانب اللغويَّ مهم جدا من أجل قيام نظريَّة عربيَّة بديلَة، حيث توقَّف عند العديد من المحطَّات وعند العديد من البلاغيين والنقاد العربِ القدماء لإثبات وجود هذه النَّظريَّة، بداية مع عبد القاهر الجرجاني وكيف استطاع أنَّ يقدم مصطلحات مهمَّة في البلاغة العربيَّة، وذلك في وقت سبق تطور العالم الغربي، وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد العزيز حمُّودة: "الرّيادة الحقيقية لعبد القاهر الجرجاني تتمثل في جانب كبير منها في تقديمه المبكِّر لمصطلح مألوف في الدراسات اللغويَّة و الأدَبيَّة في القرن العشرين وهو معنى المعنى، وفي الوقت نفسه فقد كان الجرجاني أيضا محدد او صريحا في وضع ضوابط سلسلةِ التدليل حتى لا تتحول إلَى فوضى اللانهائية"[1].

يتَّضح لنا من خلال هذا القول أنَّ عبد القاهر الجرجاني استطاع في وقت سبق تطوّر الغرب أن يحدد ملامح العديد من المصطلحات البلاغية.

لم يكتفِ اللغوي والنحوي عبد القاهر الجرجاني بتقدُّمه في هذا الجانب فقط، بل تعداه إلَى تحديد مفهوم وتعريف الكناية، وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد العزيز حمُّودة: ""والمراد بالكناية هاهنا" يكتب عبد القاهر "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلَى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليْهِ ويجعله دليلا عليه"[2].

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 300.

[2]- المصدر نفسه، ص 300.

ما يمكن فهمه من هذا القول أنَّ عبد القاهر الجرجاني قد حدَّد مفاهيم بلاغيَّة مهمَّة، وذلك في فترة سبقت تطور وتفطن العقل الغربي لها، ومن هذه المفاهيم نذكر الكناية التي وضع لها عبد القاهر الجرجاني تعريفا مبسطا، واستطاع أنَّ يقرِّب معناها وماهيتها لعقول الناس وذلك من أجل فهمها.

لم يقتصر الأمرُ على عبد القاهر الجرجاني وما قدَّمه فقط، بل نجد كذلك مجموعةً من البلاغيِّين والنحويِّين العرب الذين عاشوا في فترة متأخرة أمثال أبي بكر السكاكي، والذي نجد له موقفا بلاغيا لا يمكن تجاوزه وذلك في البيان وبالتحديد موقفه في الحقيقة والمجاز، ولتوضيح هذا أكثر نذكر قول الدكتور عبد العزيز حمُّودة: "الحقيقةُ هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعةٌ له من غير تأويلٍ في الوضع، ثم يؤكد المعنى نفسه مؤكّدا ألفاظ الجرجاني نفسها: الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرةً، أمَّا بالنسبة لاستخدام اللفظ على المجاز فهو أيضا يتَّفق مع الجرجاني في أنَّ الدلالة المجازية هي دلالةٌ عقليَّة يتم التوصل إليها عن طريق القرائن اللفظيَّة داخل النظام أو النسق اللغوي"[1].

الملاحظ من هذا القول أنَّ الدكتور عبد العزيز حمُّودة يؤكد لنا إسهامات النقاد والبلاغيين العرب القدماء في البلاغة العربيَّة وفي بناء نظريَّة لغويَّة عربيَّة، وهذا ما لاحظناه عند عبد القاهر الجرجاني وأبي بكر السكاكي.

بعد تتبُّع هذه الخيوط والإشارات الواضحةِ جدّا عند هؤلاء البلاغيِّين العرب نجد أنَّه فعلا قد قدّموا ما يكفي لبناء نظريَّة لغويَّة عربيَّة بديلَة كانت ستغني العربيّ أو المثقَّف العربي إن صحَّ القول عن التبعية الثقافية للغرب لولا أنَّنا لم نقم بالقطيعة مع تراثنا العربي.

## 2. النَّظريَّة الأدَبيَّة العربيَّة:

انتقل الدكتور عبد العزيز حمُّودة من البحث عن نظريَّة لغويَّة عربيَّة إلَى البحث عن نظريَّة أدبيَّة عربيَّة، أو بمعنى أدقّ تتبّع لخيوط واضحةٍ تدل على وجود نظريَّة بديلَة، وذلك كآخِر محطَّة من رحلته في كتاب "المرايا المقعَّرة"، للبحث عن بديلٍ عربي للمناهج الغربيَّة، حيث اعتبر الدكتور عبد العزيز حمُّودة أنَّ

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 304.

مجال الأدَب أوسع من مجال اللغة، ويظهرُ هذا جليّاً من خلال قوله:" ولم يبقَ إلَّا التفكير في مظلةٍ أوسَع، مظلة تتسع للدراسة النصية الجمالية ودراسة اللغة الأدَبيَّة وظروف إنتاج النص والآراء المختلفة حول أدبيَّة الأدَب...من هنا كان عنوانُ الفصل الحالي النَّظريَّة الأدَبيَّة العربيَّة"[1].

معنى هذا أنَّه لم يقتصر بحث الدكتور عبد العزيز حمُّودة عن النَّظريَّة البَدِيلة على الجانب اللغوي فقط، بل ركَّز كذلك على الجانب الأدَبي باعتبار هذا الأخير كما وصفه الدكتور عبد العزيز حمُّودة "مظلَّة أوسَع".

اتجاه الدكتور عبد العزيز حمُّودة نحو الأدَب لم يصرفه كليا عن اللغة، ولتوضيح هذا أكثر نذكر قول الدكتور عبد العزيز حمُّودة: "إنَّ حديثنا عن اللُّغةِ لم ينتهِ، إذ لا يمكن لنا دراسة النظريَّة الأدَبيَّة العربيَّة بمعزل عن النَّظريَّة اللغويَّة العربيَّة لسببيْن جوهريين؛ الأوَّل: لقد أصبحت الدراسات الأدَبيَّة في القرن العشرين منذ قدَّم سوسير علم اللغة الحديث، دراسات في اللغة قبل أنَّ تكون أيّ شيء آخر... الثاني: إنَّ البلاغة العربيَّة سواء في علم البيان أو علم المعاني قامت على الدراسة اللغويَّة للنص"[2].

هذا الكلام إنْ دلَّ على شيء فإنَّما يدل على أنَّ النَّظريَّة الأدَبيَّة لم تتم بمعزل عن اللغة، أيْ أنَّ الأدَب اعتمد بشكل أساسيّ على علم اللغةِ، وهذا قد شَاع حتّى في القرن العشرين حيث أصبحت اللغة أساسيَّة في النظريات والمناهج النقديَّة، وذلك بعدما جاء سوسير بعلم اللغة الحديث.

لقد اتَّبع الدكتور عبد العزيز حمُّودة في تحديد النَّظريَّة الأدَبيَّة العربيَّة نفس الخطوات التي اتَّبعها في تحديده للنظريَّة اللغويَّة العربيَّة، حيث توقَّف عند مجموعةٍ من البلاغيين العرب ليؤكد وجود إشَارات وخيوط واضحة تدل على وجود نظريَّة بديلَة، كما أنَّه أدرج في هذا الجانب مفهوم وماهيةَ الشّعْر عند مجموعةٍ من النقاد والبلاغيين القدماء أمثال قدامة بن جعفر، وعبد القاهر الجرجاني، وحازم القرطاجني، إضافةً إلَى عرضه لقضايا النقد القديم، كقضيَّة الشكل والمضمون، ومحاولته تحديد أركان النَّظريَّة الأدَبيَّة.

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 306.

[2]- المصدر نفسه، ص 320، 321، 322.

وبهذا يكون الدكتور عبد العزيز حمُّودة قد حاول في طيَّات كتابه هذا الموسوم بـ: "المرايا المقعَّرة: نحو نظريَّة نقديَّة عربيَّة" أن يتتبع مجموعة من الخيوط والإشارات عند مجموعةٍ من النقاد والبلاغيين العرب القدماء لأجلِ تأكيدِ فكرَةٍ واحدة، ألَا وهي أنَّه كان باستطاعةِ العربي أنَّ يستقل عن كل ما هو غربي، لأنَّه كان بحوزته كل الأساسيَّات التي يمكنها بناء نظريَّة نقديَّة عربيَّة، لولا القطيعةُ التي أحدثها مع تراثه العربيِّ، ولولا انبهاره بكل ما هو غربي، وكما يقول الدكتور عبد العزيز حمُّودة: لم تكن الثَّقافة العربيَّة إذن مفلِسةً، ولم يكن العقل العربي قط متخلفا، كلُّ ما حدث أنَّنا في انبهارنا بإنجازات العقل الغربي وضعنا إنجازات البلاغةِ العربيَّة أمام مرَايَا مقعَّرة صغَّرت من حجمِها و قلَّلت من شأنها"[1].

[1]- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، ص 491.

# خـــاتـــمة

بناءً على ما تمَّ عرضه والتَّطرُّق إليه في هذا البحث، تمَّ التَّوصُّل إلى مجموعةٍ من النتائج، سنعدِّدها في النقاط التالية:

1- تميَّز الدكتور عبد العزيز حمودة بكونِه مثقَّفا، وناقدا حصيفا، وواحداً من كبار المفكِّرين والمسرحيِّين العرب، الذين ذاع صيتُهم وانتشر إنتاجهم خلال نصف القرن الماضي، وهذا بشهادةِ العديد من النقاد والمهتمين بكتابات الدكتور عبد العزيز حمودة، أمثال الدكتور ماهر شفيق فريد.

2- تعدَّدت إنجازات ومؤلفات الدكتور عبد العزيز حمودة، حيث أنَّه لم يهتم بالكتابةِ في النقد فقط، وإنَّما نجده في مجالات مختلفةٍ، كالأدب والمسرح والفلسفة، إضافة إلى تمكنه من اللغة الانجليزيَّة وتقديمه اعمالا بها.

3- إنَّ تصور الدكتور عبد العزيز حمودة للخطاب النقدي العربيّ ظهر حينما بدأ في الاهتمام والاطِّلاع على أعمال البنيويِّين والتَّفكيكيِّين العرب، وتمثَّل هذا التصور في أنَّ الخطاب النقديّ العربي يعاني أزمة، وذلك منذ انفتاح هذا الأخير على الغرب.

4- تشكّل رؤية الدكتور عبد العزيز حمودة وتصوّره للخطاب النقدي العربي، أدت به إلى تأليف وتقديم مشروع نقدي ضخم متمثل في ثلاثة كتب مهمة، بداية مع كتاب "المرايا المحدَّبة: من البنيوية إلى التفكيك"، والذي رفض فيه الدكتور عبد العزيز حمودة ما أفرزته الحداثة الغربيَّة من مناهج، مرورا بكتاب "المرايا المقعّرة: نحو نظرية نقديَّة عربيّة" والذي ألَّفه من أجل البحث عن بديل لهذه المناهج الغربيَّة التي رفضها، وصولا إلى كتاب "الخروج من التيه: دراسة في سلطة النص"، وكان الدافع من تأليف هذا الأخير هو الخطر الذي لاحظه عبد العزيز حمودة، المتمثل في أن الامر لم يعد مجرد تبعيّة، بل أصبح أكبر من ذلك، أصبح أمر ثقافة مهيمنة تتحكم في الثقافات القوميَّة.

5- إنَّ كتاب المرايا المقعرة يعد بمثابه المؤلف الذي حظي بالأهمية الأكبر خلال فترة إنتاجه، وذلك بسبب أنَّ الدكتور عبد العزيز حمودة تطرّق فيه إلى فكرة مهمة ألَا وهي البحث عن بديل عربي لما أفرزه فكر الحداثة من مناهج، وهذا ما جعل كل الأنظار تتّجه نحوه لمعرفة ما إذا كان هذا الأخير قد

استطاع فعلا الوصول لبديل يغني المثقف العربي عن المناهج الغربية، ويجعله مستقلا بذاته بعيدا عن كل ما هو غربي.

6- حاول الدكتور عبد العزيز حمودة من خلال كتاب المرايا المقعَّرة أن يثبت بأنَّ الثقافة العربية ليست ثقافه مفلسة، حيث أنَّها قدَّمت للعربيِّ الكثير، ولكنّ هذا الأخير أدار ظهره لها، واحتقر تراثه العربيّ، وانبهر بكل ما هو غربي.

7- إنَّ جهود الدكتور عبد العزيز حمودة في التأصيل والتنظير للخطاب النقدي العربي كانت جهودا جبّارة، حيث نجده لم يكتفِ بتقديم رؤيته وتصوُّره للخطاب النقدي العربي، بل تعدّى ذلك إلى تقديم حلول لهذه الأزمة التي يعاني منها الخطاب النقدي العربي، والتي يعاني منها كذلك المثقف العربي.

8- تمثلت رحلة الدكتور عبد العزيز حمودة للبحث عن بديل للمناهج الغربية في العودة إلى التراث العربي في عصره الذهبي (العصر العباسي)، وذلك بتتبع مجموعة من الإشارات والخيوط عند مجموعةٍ من النقاد القدماء؛ أمثال عبد القاهر الجرجاني، أبي بكر السكاكي، قدامة بن جعفر، حازم القرطاجني...

9- قسَّم الدكتور عبد العزيز حمودة النظريَّة النقديَّة العربية البديلة التي عاد إلى التراث العربي القديم بحثا عنها إلى فرعين أساسيين؛ الفرع الأوَّل متمثل في النظرية اللغوية العربية، حيث اعتبر الدكتور عبد العزيز حمودة أنَّ الجانب اللغوي مهمٌّ جدّا من أجل قيام نظريَّة عربيَّة بديلة، والفرع الثاني متمثِّل في النظرية الأدبية العربية، وذلك باعتبار أنَّ الأدب أوسع من اللغة، وبهذا قد جعل من اللغة والأدب فرعيْن أساسيَّيْن لقيام نظريَّة نقديَّة عربيَّة بديلة لما أفرزه فكر الحداثة الغربية من مناهجَ.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وُفِّقنا في التَّطرُّق إلى هذا الموضوع الموسوم بـ: جهود الدكتور عبد العزيز حمودة في تأصيل الخطاب النقدي العربي "المرايا المقعرة أنموذجا"، وفي إثرائه ولو بالقليل من الزاد المعرفي، فإن وُفِّقنا فما التوفيق إلَّا بالله، له الحمد والفضل والمنَّة، وإن أخفقنا فعزاؤنا الوحيد أننا بذلنا قصارى جهدنا، ويبقى النقص من أنفسنا والكمال لله سبحانه.

# قائمة المصادر والمراجع

**أ- المصادر:**

1. حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدَّبة: من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، الكويت، أبريل، 1998م.
2. حمودة، عبد العزيز، علم الجمال والنقد الحديث، الهيئة المصرية العامَّة لكتاب، القاهرة، 1999م.
3. حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس، 2001م.
4. حمودة، عبد العزيز، الخروج من التيه، دراسة في سلطة النص، عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر 2003م.

**ب- المراجع:**

1. بدوي، أحمد، أسس النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة، القاهرة، 1996م.
2. بلبع، عيد، خداع المرايا: ما قبل النظرية، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م.
3. الجودي، لطفي فكري محمد، نقد خطاب الحداثة، في مرجعيات التنظير العربي للنقد الحديث.
4. الحمود، علي بن محمد، النّقد الأدبيّ الإسلامي: الواقع والمأمول، دار الفكر المعاصر، بيروت، أبريل 2016م.
5. حمودة، عبد العزيز، الأعمال الكاملة، مسرحيات الظاهر بيبرس، المقاول، ج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989م.
6. حمودة، عبد العزيز، البناء الدرامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.
7. شرشار، عبد القادر، تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، دار القدس العربي، وهران، 2009م.
8. الكردي، عبد الرحيم، الفكر النقدي عند العرب، مكتبة الآداب، القاهرة، 2015م.
9. المسيري، عبد الوهاب، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، 2003م.

**ج- المقالات:**

1. أبو صالح، عبد القدوس: (عبد العزيز حمودة انتصر للأصالة)، 3يوليو2008م، https://www.ikhwanonline.com

2. امزير، مصطفى، مرايا عبد العزيز حمودة والدعوة لتأصيل نظرية عربيَّة في النقد، 7 نوفمبر 2018، http://www.alquds.co.uk.

# فهرس المحتويات

## Table des matières

**شكر وعرفان** ..... **3**

**إهداء** ..... **4**

**مقدمـة**..... أ

**الفصل الأوَّل: الدكتور عبد العزيز حمّودة وتصوُّره للخطاب النقدي العربيّ** ..... **5**

1/ الدكتور عبد العزيز حمّودة في سطور:..... 6

2/المنجز النَّقدي والإبداعي للدكتور عبد العزيز حمودة:.....10

3/الخطاب النقدي العربي كما تصوره عبد العزيز حمودة:.....18

**الفصل الثَّاني: التوجُّه النقدي للدكتور عبد العزيز حمودة من خلال كتاب المرايا المقعَّرة**.....**25**

1/فكرة الكتاب ومكانته من الثلاثية: .....26

2/الأدوات النقدية (الخطَّة والمنهج): .....37

3/التوجُّه النقدي لتأصيل الخطاب النقدِي العَرَبيّ .....44

**خـاتـمة**.....**52**

**قائمة المصادر والمراجع** .....**55**

**فهرس المحتويات** .....**58**

**ملخص:**

يهدف هذا البحث الموسوم بـ: "جهود الدكتور عبد العزيز حمودة في تأصيل الخطاب النقدي العربي – المرايا المقعرة – أنموذجا"، إلى عرض الجهود الجبارة التي بذلها الدكتور عبد العزيز حمودة في سبيل التأصيل للخطاب النقدي العربي في ظل الأزمة التي يعاني منها المثقف العربي، وذلك من خلال تسليط الضوء على كتاب المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية، والذي حاول فيه الدكتور عبد العزيز حمودة البحث عن نظرية نقدية عربية بديلة لما أفرزه فكر الحداثة الغربية من مناهج لأجل إعادة هوية العربي وثقته بتراثه وبإنجازات العقل العربي، واستبدال هذه المرايا المقعرة بمرايا عادية لا تقلل من شأن التراث وتعكس حجمه الحقيقي.

**الكلمات المفتاحية:** عبد العزيز حمودة الحداثة التراث نظرية نقدية عربية بديلة.

**Summary:**

This research, entitled "(The Efforts of Dr. Abdulaziz Hamouda in Grounding Arab Critical Discourse: Concave Mirrors as a Model)", aims to present the tremendous efforts made by Dr. Abdulaziz Hamouda in grounding Arab critical discourse in light of the crisis faced by Arab intellectuals. This is achieved by shedding light on the book "Concave Mirrors: Towards an Arab Critical Theory", in which Dr. Abdulaziz Hamouda attempted to search for an alternative Arab critical theory to what Western modernity has produced in terms of methodologies. This is done in order to restore the Arab identity and confidence in its heritage, and to replace these concave mirrors with regular mirrors that reflect the true magnitude of Arab intellectual achievements and do not diminish the significance of heritage.

**Keywords:** Abdulaziz Hamouda, Modernity, Heritage, Alternative Arab Critical Theory